

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية الآداب، اللغات و الفنون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم الدلالة تحت عنوان

دلالة الأنا في ليالي الإمتاع و الموانسة

لأبي حيان التوحيد

مشروع : الدلالة في التراث العربي

رئيسة المشروع: الأستاذة الدكتورة صفية مطهري

من إعداد الطالب: حفيظة سي بوعزة

تحت إشراف: الأستاذة: صفية مطهري

لجنة المناقشة

أ.د. بكري عبد الكريم.....رئيسا

أ.د.مطهري صفية.....عضوا مشرفا و مقرا

أ.د. ملياني محمد.....عضوا مناقشا

د. هني سنية.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2011/2010

الإهداء

إلى روح أبي طيّب الله ثراه
إلى أمي ينبوع الحنان الذي لا يخادع.....
إلى رفقاء العلم و طالبي العلوّ.....
إلى كل الأحبة أهدي ثمرة جهدي.

اللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية فكرية، وظيفتها التبليغ والإيصال والتواصل بين الناطقين بها وتنقسم باعتبارها وسيلة إلى قسمين رئيسيين: جسمية إشارية بصرية، وصوتية سمعية. وتهدف في الحالين إلى نقل أفكار وعواطف مستعملها في حركات إشارية أو كميات صوتية والمنقول يسمى معنى أو دلالة.

وقد اختلف الدارسون المختصون في موقع الدلالة عن غيرها من المستويات والمجالات والموضوعات، فمنهم من اعتبرها مستوى، ومنهم من صنفها ضمن المجالات والموضوعات والارجح انها كل ذلك، لان الدلالة موجودة في كل مستوى ومجال وموضوع ومن هنا، فهي كل شيء في اللغة، بل هي اللغة نفسها؛ واي تعبير خلا من الدلالة كان لغوا وهديانا.

ومن هذه النظرة، ملت إلى البحث في الدلالة متتبعه اعلامها واعمالهم، وانتميت إلى مشروع الدلالة في التراث العربي للاستاذة الدكتورة صفية مطهري. ومن خلال ما تلقيته من محاضرات واعمال توجيهية وإرشادات علمية من الاساتذة المكونين، وبخاصة رئيسة المشروع، استقر رأيي على البحث الدلالي في تراث ابي حيان التوحيدي وذلك بعد ما اطلعت على كتابه الإمتاع والمؤانسة، الذي الفه في القرن الرابع هجري، هذه الفترة التي من اخصب الفترات التاريخية، لما بلغت الحضارة العربية الإسلامية من رقي علمي وادبي وفني.

اللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية فكرية، وظيفتها التبليغ والإيصال والتواصل بين الناطقين بها وتنقسم باعتبارها وسيلة إلى قسمين رئيسين: جسمية إشارية بصرية، وصوتية سمعية. وتهدف في الحالين إلى نقل أفكار وعواطف مستعملها في حركات إشارية أو كميات صوتية والمنقول يسمى معنى أو دلالة.

وقد اختلف الدارسون المختصون في موقع الدلالة من غيرها من المستويات والمجالات والموضوعات، فمنهم من اعتبرها مستوى، ومنهم من صنفها ضمن المجالات والموضوعات والارجح انهما كل ذلك، لان الدلالة موجودة في كل مستوى ومجال وموضوع ومن هنا، فهي كل شيء في اللغة، بل هي اللغة نفسها؛ واي تعبير خلا من الدلالة كان لغوا وهديانا.

ومن هذه النظرة، ملت إلى البحث في الدلالة متتبعه اعلامها واعمالهم، وانتميت إلى مشروع الدلالة في التراث العربي للاستاذة الدكتور صافية مطهري. ومن خلال ما تلقيته من محاضرات واعمال توجيهية وإرشادات علمية من الاساتذة المكونين، وبخاصة رئيسة المشروع، استقر رأيي على البحث الدلالي في تراث ابي حيان التوحيدي وذلك بعد ما اطلعت على كتابه الإمتاع والمؤانسة، الذي الفه في القرن الرابع هجري، هذه الفترة التي اخصب الفترات التاريخية غنم الحضارة العربية الإسلامية من رقي علمي وادبي وفني.

وقد كان التوحيدى معلما من معالم هذه الفترة وعاملا مؤثرا فيها بما اوتي من معارف متنوعة وخصال متميزة لعل اهمها المرح والتفكه وروح الدعابة، ومن ثم، وصفه بعض الباحثين ان الثقافة العربية في ذلك القرن غير ان مناهج التدريس العربية، ما زالت مخلو من ذكر التوحيدى، وإعطائه حقه ووضع في مرتبته ومكانته بين علماء عصره، وتكتفى بتكرار اسماء معروفة معهودة عندنا.

وهذا مما جعلني اعيش كتابه الإمتاع والمؤانسة، لم وانس، بجلى ذلك في الدور الحضاري الذي لعبه مفكر تجاوز صيته حدود الزمان والمكان، في عصر المجالس الادبية، والندوات الفكرية والعلمية. وفي كل الحالات لقد مس هذا البحث جديرا بالاهتمام، واصاب عملاقا في المعرفة، وقد رسا اختياري في البحث، على استخراج مكان من دلالة الانس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى.

وفي بداية الإيجاز سالت نفسي، هل كان التوحيدى مؤنسا لجلسائه ورفقائه حقا، وهل تحققت المتعة اللغوية الهادفة من خلال هذه الليالي؟ وللإجابة عن هذا الانشغال، اخترت لبحثي العنوان الآتي:

دلالة الأنس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى.

ومما يهدف إليه هذا البحث، هو إحياء التراث العربي، وبعثه من جديد من خلال إجازات رواده، في زمان تخللته مجالس العلم والفقه والادب والفن... ناهيك عن النقاشات المثارة في تلك الحلقات.

كما اسعى في هذا البحث إلى إبراز مكان الانس المخبوءة في جمالية
المسائل المطروحة خلال ليال كان جلهما يخبتم بعبارة تسمى:
حسب الطلب.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مدخل واربعة فصول، مسبوقة بمقدمة،
ومشفوعة بخاتمة، جمعت فيها نتائج البحث ومكتبته وفهرس .

قدمت في المد شرحا لعناصر عنوان البحث، واستفتحته بمفهوم
مختصر للدلالة وانواعها، ثم الدلالة في التراث العربي، وبرزت جهود بعض
العرب القدامى في مجال الدلالة، محديدا في الفترة التي سبقت ابا حيان
التوحيدي، ومن هؤلاء الاعلام، الجاحظ (ت، 225) الذي كان يرى ان
الدلالة لا تتحقق إلا بتفاعل الانساق اللغوية المختلفة المتمثلة في المرسل
والمتلقي والمحتوى والقناة الناقلة وهو ما توصل إليه البحث الحديث في علوم
الدلالة والاتصال.

ومن بعد هذا توقفت عند ابن جني (ت، 392) وهو العالم اللغوي
الذي اشتهر بظاهرة المقاربات والتقاليب الاشتقاقية المحققة لتقارب الدلالات
من خلال تقارب حروف الالفاظ وتصور الدلالة قسمين لفظية وصناعية.

وفي هذا المدخل، قدمت نبذة عن حياة ابي حيان التوحيدي، وشيوخه،
و جلسائه، و مؤلفاته، منها كتاب الإمتاع والمؤانسة، وظروف
كما تناولت مفهوم الانس والإمتاع.

وفي الفصل الاول الذي جاء عنوانه: *دلالة الأنس في المفردات*

الصيغ المؤنسة في الحدث والذات، ومعلوم ان الغالب على حديث التوحيدى كان حديث الإفراد، يظهر ذلك من افتتاح لياليه في كتاب الإمتاع والمؤانسة بالمفردات وكانت المتعة والانس مفردتين متلازمتين مترادفتين تسيران في خطين متوازيين في احاديث التوحيدى المغمورة بروح المرح.

وخصتصت الفصل الثاني لحديث التراكيب، وكان عنوانه: *دلالة الأنس*

في التراكيب. وقد انضوى هذا الفصل، على دراسة الجمل من حيث هي تركيب متالف الاجزاء، في انسجام وانتظام، وقد تطرقت فيه إلى اسلوب التضاد الوارد في تراكيب ابي حيان، مما اضفى عليها وضوحا؛ لان الاشياء تزداد بيانا بالاضداد ودلالاتها، وهو ما اطلق عليه المحدثون مصطلح الثنائيات.

وقد وردت في ليالي التوحيدى جمل تبرز شهية الحديث الممتع، خلال لغة التخاطب المباشر التي تجلب صاحبها إلى مواصلة الجلسة بالإثارة والتشويق وتوقفت عند خلفيات الانس والإمتاع، ورونق الكلام.

وعقدت الفصل الثالث ل: *دلالة الأنس في المشتقات*. وقد احتوى هذا

الفصل، على مجموعة من التشكيلات والتقليبات، والتنويعات التي تنبعث من مختلف النفوس والخواطر، من حيث هي مفردات متحولة متنوعة، متضم معان متباينة قام ابو حيان التوحيدى بتوظيفها في لياليه، لتضفي الانس على الحاضرين كالمصادر بجميع انواعها، وبقية المشتقات.

وانتهيت إلى الفصل الرابع و الأخير وجعلته تحت ع وان:

دلالة الأنس في السياق حيث تعمقت في مظاهر الفكاهة التي ميزت ليالي التوحيدى، والاستمتاع بحلقاته، فقد كان الوزير يطالب ابا حيان بذكر الملح والنوادر، والايات الشعرية المريحة للنفوس، و المؤنسة للقلوب، و الباعثة على الفرح والمرح؛ و احيانا الضحك.

كما يحتوي هذا الفصل على دلالة الفكاهة العربية، و اعلامها، و انواع التهكم والسخرية، و نوادر الموائد، و اهل الشراة، و ملح الانس و التانيس التي اعتاد التوحيدى تقديمها للوزير، تلبية لطلبه في اخر و كان يسميها: ملححة الوداع و ختمت بحثي بخاتمة اوردت فيها اهم نتائج البحث و وسائل إجازه.

و في حديث الوسائل التي منها المادية و غير المادية، و من هذه الاخيرة ما يسمى بالمناهج، و هي كثيرة متعددة متنوعة، اخترت منها ما يلائم البحث و ينظمه، فعممت المنهج الوصفى على البحث كله، لدقته في التحديد و التوضيح و التبيين، و اردفته بالمعياري و التحليلي عند الحاجة إلى الترجيح، و التعليل، و التمييز بين الراء و الاحكام.

و نهاية النهاية هي الشكر لله الذي الهمني إلى هذا البحث، و وفقني في إجازه؛ و الشكر من بعده مرفوع إلى الاستاذة المحترمة الفاضلة رئيسة المشروع المشرفة على هذا البحث اجدد لها الشكر ما حييت زودتني به من نصائح، و ما قدمته إلي من مساعدات، و ما غمرتني به من عناية

ورعاية، يعجز لساني عن وصفها؛ لقد كانت لي المرجع القوي، والملاذ الامن
عندما يحيط بي شداثد البحث.

كما اسدي شكري خالصا إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث
بالمصادر والمراجع، او بالنصح والتوجيه والتشجيع من زملاء واساتذة
وإداريين.

ومن بعد هذا كله اقول هذا جهد متواضع، في حق العلم والعلماء،
وقد بذلت ما في وسعي تحت رعاية الاستاذة المشرفة، ليكون هذا البحث في
مستواه الاكاديمي، وإن بلغت شيئا من ذلك فبتوفيق من الله وتوجيه
الإشراف وإن كان غير ذلك فمن نفسي والكمال لله واساله التوفيق
والسداد في قادم الاعمال.

الطالبة: سي بوغزة حفيظة

وهران في 20 اكتوبر 2010م

مدخل

مفاهيم وتعريفات

إن مصطلح الدلالة عند علماء العربية، هو العلم الذي يدرس كل معطيات المعنى، مما له علاقة بالرموز الصوتية الملفوظة والمرسومة، وكذا الإشارات الجسدية وغيرها من رموز المعاني.

وقد تبلور علم الدلالة في صورته الفرنسية إلى (سيمانتيك (Sémantique) وأطلقوا عليه في الإنجليزية عدة أسماء. وسماه بعض العرب: علم الدلالة — بفتح الدال وكسرهما — كما سماه آخرون علم المعنى (دون استخدام صيغة الجمع)، وجمعه غير هؤلاء وأولئك تحت مفهوم اللغتين الفرنسية والإنجليزية وسموه (السيمانتيك)¹ ومن ثم تعددت أسماء الدلالة وتنوعت باختلاف اللغات وتعددتها. وأمكن من ذلك حصر الدلالة في الأنواع الآتية²:

أ — الدلالة اللفظية أو الوضعية: وتسمى أيضا اللغوية أو دلالة المطابقة، وهي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعية بإزائها، كدلالة السماء والأرض والجدار على مسمياتها.

1 - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص11. مط، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان. ط، 1، 1982م.

2 - الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص15 وما بعدها باختصار. مكتبة الأنجلو المصرية، ط، 1، 2002 م.

ولعلاقة اللفظ بالمعنى ثلاث حالات: (علاقة المطابقة، كعلاقة اسم المثلث بالشكل الذي يحيط به، أو علاقة التضمن، كدلالة المثلث على الشكل لا على أنه اسم، أو علاقة استتباع وإلزام كعلاقة اسم السقف بالحائط).

ب — دلالة الإشارة: كالتى تستخدم فيها حركات الجسم والإشارات الموضوعية كعلامات الطرق، والاهتداء بالجبال والنجوم والنيرون؛ وكذلك إشارات المرور والبحارة.

ج — دلالة الهيئة أو النصب: وهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير وضع، إشارة عليها كما هي الحال في هيئة الغضب والسرور أو الذعر التى تبدو على الوجه.

د — دلالة الصوت: وما يصاحبه من ظواهر، مثل النبر والتنغيم والإيقاع ودرجة الصوت وقوته وصفته، وما يعرف بالسّمات شبه اللغوية، وكذلك أصوات الأشياء ودلالاتها عليها في الطبيعة والأصوات الاصطناعية، مثل الموسيقى وصفارات الإنذار وأبواق السفن والأجراس.

هـ — دلالة الخط والكتابة، أو دلالة الرسم: ويدخل في ذلك رموز الحروف ورموز الأعداد ودلالة الصورة والأشكال، وتشير رموز الأعداد إلى أشياء ذهنية، واستخدام الفن الحديث للخطوط للدلالة على أبعاد فنية، وتنوع باختلاف الأذواق والمذاهب ونوع الخط.

و— دلالة الفن: وهي التي توحى بها الصور والتمثيل والحركات والأشكال والتمثيل الناطق والصامت، وتفسير ظواهر الطبيعة على نحو يرمز إلى معان تتداعى إلى النفس، كغروب الشمس الذي يرمز في مجال الأدب إلى الضعف والسكينة والشيخوخة، واتخاذ ألوان الورود رموزاً للمشاعر والعواطف.

ز — الدلالة الثقافية: وهي التي ترتبط بحياة الشعوب والأمم وعاداتها وتفهم هذه الدلالة في إطار فكر الجماعة الذي يحكم بنظام من الحدود والأعراف كالمعاملات الاجتماعية مثل آداب التحية والترحيب.

ويرتبط الدليل بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من فروع المعرفة حتى قال بعضهم: (إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي (السيمانتيك)، أو ما إذا كان يجب اعتبار الفلسفة داخل (السيمانتيك) أو (السيمانتيك) داخل الفلسفة)¹ وهذا ما يدل على ترابط العلاقة بين الفلسفة وعلم الدلالة.

الدلالة في التراث العربي

يعود البحث الدلالي عند العرب إلى فجر دراساتهم اللغوية، ذلك أن الدرس اللغوي العربي انطلق باحثاً عن المعنى والدلالة في المستويات والمباني اللغوية، وأول كتاب لغوي عربي هو كتاب سيبويه وفي مطلعها عقد

صاحبه بابا سماه (باب اللفظ للمعاني)¹ ولفظ المعنى والدلالة مترادفان في التراث العربي. وغلب استعمال لفظ المعنى على الدلالة، فهذا سيبويه يستعمل (المعنى) بدل الدلالة. ويطلق أبو زكريا الفراء — من بعده — لفظ (المعنى) على تفسير القرآن، وقال فيه: (ولفظ معاني القرآن يعني به ما يشكل في القرآن ويحتاج إلى بعض العناية في فهمه، من حيث المعنى واللفظ والتركيب اللغوي والقراءة، وقد كتب في معاني القرآن عدد كبير من العلماء.)² واستمر لفظ المعنى مصاحبا للفظ الدلالة ومعاقبا له عند القدماء والمحدثين.

و قد ألف إبراهيم أنيس كتابا بعنوان: (دلالة الألفاظ، في حين يؤلف تمام حسن كتابا بعنوان: (العربية معناها ومبناها) وهما عالمان معاصران لبعضهما ولا يزال اللفظان متعاقبين مترادفين في العربية.

ونشير إلى أن الدراسات الدلالية العربية نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، وظلت تدور في رحابها زمانا، قبل أن يتعرف علماء العربية على جهود الهنود واليونانيين الذين كان لهم السبق من الناحية التاريخية ولكن لم يكن العرب عالة عليهم في معرفة هذا العلم، إذ تؤكد

1 - الكتاب، سيبويه، ج، 1، ص، 24، تح عبد السلام محمد هارون، مط، عالم الكتب، بيروت لبنان ط، 1، 1966 م.

2 - معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن عبد الله الفراء. قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، ج، 1، ص، 3، مط، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1، 2002 م.

الشواهد أن القرآن الكريم هو الذي أغرى علماء العربية ببحث معانيه للتعرف على مواطن إعجازه وأحكامه"¹. وسنقف عند جهود بعض مشاهير العرب في دراسات المعنى والدلالة.

وقد اعتمدنا إبراز جهود بعض العرب القدامى في مجال الدلالة ووقفنا عند الفترة التي سبقت أبا حيان، وقد أشرنا إلى ما قاله سيبويه فيها حيث ربط اللفظ بمعناه والمعنى بلفظه. وقسم الكلام على أساس علاقة اللفظ بالمعنى إلى خمسة أقسام وهي: (مستقيم حسن، ومستقيم قبيح، ومستقيم كذب، ومحال، ومحال كذب)² وهذه الصورة هي ما نجدتها عند الجاحظ من بعده.

الدلالة عند الجاحظ

قام الجاحظ (ت، 255هج) بفتح أبواب البيان وأبان عن المكامن الجمالية في اللغة العربية، وجمع الصور اللفظية وغير اللفظية، التي تحتضن الفكر وتعبر عن الدلالات والمعاني المختلفة، وتناول في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان) مباحث لها ارتباط وثيق بموضوع الدلالة، مبرزاً أهمية العلامة في ظهور الدلالة التي تبقى مستترة كامنة بدون توافر وظائف الكلام، المتمثلة في الوسائل التعبيرية اللغوية الممكنة وغير اللغوية، وحصرها

1 - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص 17، منشورات اتحاد

الكتاب العرب، دمشق، ط، 1، 2001م

2 - الكتاب سيبويه، ج. 1، ص، 25 بتصرف.

الجاحظ في ستة أقسام وهي: (اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال والنسبة)¹.

ويلاحظ هنا تلاق وتقاطع بين سيويه والجاحظ. كما أن هناك خلافا (بين النقاد حول الموقف الحقيقي للجاحظ من اللفظ والمعنى وأن ذلك راجع إلى الخلط الملحوظ أحيانا في تعبيره هو نفسه عن هذه المفاهيم)² والمفاهيم تفوق المصطلحات.

وفهم من كلام الجاحظ أن اللفظ والمعنى شبيهان بشئائيه تقابلية، فالألفاظ على نقيض المعاني متناهية محدودة لأنها مشكلة من أصوات، والصوت محدود معدود، ولذلك كانت المعاني المتوصل إليها مختلفة الأشكال والألفاظ، وقال فيها: (إن حكم المعنى خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة)³ وذلك — حسب الباحثين — لكونها دلالة كل صامت أو ما كان في حكمه من جماد أو إنسان أو حيوان.

ويتنقل من حديث اللفظ إلى حديث النسبة فيقول: (وأما النسبة، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق

1 - يراجع البيان والتبيين، ج1، ص82. تح، عبد السلام محمد هارون، مط، الخانجي القاهرة، ط، 1، 1968م.

2 - النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ص، 137، محمد الصغير بناني، مط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط، 1، 1983م.

3 - نفسه، ص، 82.

السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"¹ ونجد الجاحظ يشترط لحسن المعنى جمال الصيغة، فالمعاني الشريفة يعبر عنها باللفظ البليغ الذي يخلو من التنافر، وذلك بعدم خروجه على عرف العربية، وألا يكون غريباً وحشياً، لأن جمال الألفاظ يؤثر في النفس، وبه يستطيع المتكلم تحقيق مقاصده وتبليغ معانيه حسب رغبته"² من توظيف الألفاظ.

ويرى الجاحظ أن الدلالة لا تتحقق إلا بتفاعل الأنساق اللغوية المختلفة، وتخص (المرسل والمتلقي والمحتوى والمضمون فضلاً عن قناة الإرسال، وأوضح قابلية الشكل والمحتوى إلى التغيير في ظل معطيات الإبلاغ والتواصل، وأقرب تمثيل هو الانزياح الدلالي المعبر عنه بالمجاز)³ ومن بعد الجاحظ في منتصف القرن الثالث، يظهر ابن جني في منتهى القرن الرابع.

هذا عند بعض اللغويين ممن ذكرنا، وذهب غير هؤلاء إلى إقامة الفرق بين المصطلحات الدلالية، وتقسيم الدلالة إلى أربعة أقسام قال فيها: (إن الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها ما يمكن أن يستدل به، قصد فاعله ذلك أو لم يقصد، والثاني العبارة عن الدلالة، والثالث الشبهة،

1 - النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ص 86 محمد الصغير بناني.

2 - الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص 38.

3 - علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص 128.

والرابع الأمارات،"¹ وإلى هذا التقسيم ذهب بعض الأصوليين وجعلوا الدلالة أربعة أقسام: (دلالة الاقتضاء، ودلالة التنبيه، ودلالة الإيماء، ودلالة الإشارة)² وتبقى فروق بين الفروق نكف عنها في مواضعها من هذا البحث.

الدلالة عند ابن جني

حقق العالم اللغوي ابن جني (ت، 392هـ) الريادة في رصد الظواهر اللغوية وتحليلها بمنطق علمي، وتناول في كتابه (الخصائص) عرض ثلاث علاقات متصلة، وهي (العلاقة بين اللفظ والمعنى) ثم (العلاقة بين اللفظ واللفظ)، ثم (العلاقة بين الحروف ببعضها)³.

واشتهر بإبراز ظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، وهو ما سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)⁴ — وهو هنا يلتقي مع سيبويه في علاقة اللفظ بالمعنى — ويقيم العلاقة بين مواقع الأصوات ومعانيها، من أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليا لتقاربهما فونولوجيا، وتلك خصائص من خصائص اللغة العربية.

1 - ينظر الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ص، 59. مط، دار الآفاق الجديدة بيروت.

ط، 4، 1980 م.

2 - الإحكام في أصول الأحكام، ج، 3. ص، 90 باختصار. سيف الدين أبي الطيب بن علي

الأمدي. مط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط، 1، 1983 م

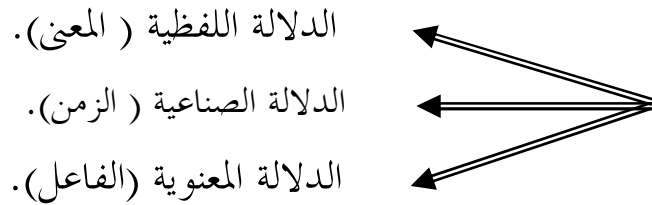
3 - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 129. عبد الجليل منقور.

4 - نفسه، ص، س.

كما قدم ابن جني تطبيقات مست أفاظا وجد بين حروفها اشتراكا في الصفات الفونولوجية من ذلك المقابلة بين فعل (ج ع د) والفعل (ش ح ط)، يقول ابن جني: (فالجيم أخت الشين، والعين أخت الحاء، والبدال أخت الفاء)¹. مفردتان من ثلاثة مخارج لمعنيين متقاربين متباينين.

إن الفعل يحمل دلالة بنيته المورفولوجية، وسمات الفاعل ومكوناته الأساسية، إضافة إلى الدلالة الزمانية التي تعين على تحديد قيمة الدلالة العامة للصيغة المعجمية، يقول ابن جني: (ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، دلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه)². فقد قسم ابن جني الدلالة إلى أقسام: الدلالة اللفظية، والدلالة الصناعية والدلالة المعنوية. ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

الدلالة التفرعية للفعل



1 - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 128.

2 - الخصائص، ابن جني، ج1، ص98. تح، محمد علي النجار، مط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط، 1، 1952م.

1 — الدلالة اللفظية: هي الدلالة المعجمية ودلالة البنية المورفولوجية على الحدث، وعدها ابن جني على رأس الدلالات الثلاثة لأنها: (دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية) "1" ففعل، (جلس) مثلا يدل بصيغته المعجمية على حدث خاص ذي دلالة معينة والمصدر هو (الجلوس)، ومنه اشتقت صيغ أخرى لها ارتباط بالدلالة السياسية للفعل منها: جلسة، مجلس، مجالس.

2 — الدلالة الصناعية: وهي دلالة بنية (اللفظ) المورفولوجية على الزمن وهي تلي الدلالة اللفظية، باعتبارها (اللفظ الذي يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق كحيز زمني، وتحتاج الدلالة الصناعية إلى اللفظ مع أنها دلالة غير لفظية والتي هي صورة تلازم الفعل فأين كان هو مشاهدا معلما كان الزمن المقرب به معلوما بالمشاهدة أيضا من مسموع اللفظ)².

3 — الدلالة المعنوية وهي : أن الفعل يحدد سمات فاعله الذاتية والانتقائية الأساسية والعرضية، وذلك من جهة دلالاته، ويعرف ذلك بطريق الاستدلال، فيتحدد جنس الفاعل، وعدده، وحاله، وليس من الصيغة الفونولوجية للفعل من مؤشرات خارجية عند الفعل، كصيغة فعل في مثل (قعد) الذي يدل على حادث مقترن بزمن ماض، وقد يتعرض مجاله الزمني إلى الاتساع ليشمل زمن الحاضر والمضارع والمستقبل في سياق لغوي يحمل خصائص تركيبية ودلالية

1 - علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص20

2 - ينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص132

ومقامية معينة أما دلالاته على الفاعل فهي دلالة إلزام¹. ولسنا هنا بصدد الحديث عن الدلالة عند ابن جني بالشرح والتفصيل، ولذلك اعتمدنا على بعض المسائل التوضيحية لمفاهيم الدلالة عند العالم اللغوي ابن جني، لنتنقل منها إلى الحديث عن التوحيدي.

أبو حيان التوحيدي

التوحيدي هو : علي بن محمد بن العباس أبو حيان وقد تضاربت آراء المؤرخين في سيرة أبي حيان حول أصله، فمنهم من يرى أنه فارسي من أصل شيرازي أو نيسابوري أو واسطي، بينما يزعم البعض أنه عربي نشأ في بغداد ووفد بعدئذ على شيراز، و ولد سنة 310 هج من أبوين فقيرين، ويقال إن أباه كان تاجرا متنقلا، يبيع نوعا من التمر المعروف باسم (التوحيد)²، ويرجع جل المؤرخين أن كنيته (التوحيدي) ترجع إلى والده الذي كان يبيع (التوحيد)³

وقد تعددت الآراء في أصله ونشأته ومولده، ويرجع عبد الرزاق محي الدين تاريخ ميلاده ما بين 310 هج و 320 هج على أكثر تقديرا على رسالته إلى القاضي أبي سهل، وأما السندوبي فيحدد سنة ميلاده 312 هج في مقدمة المقابسات.

1 - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص، 133

2- مصطلح التوحيد المتعارف عليه فقها أنه (مصدر اعتقاد وحدانية الله تعالى) وقد بحثت في ما بين يدي من معاجم على أن يكون اسما للتمر فلم أجده.

3 - أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص15. زكريا إبراهيم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

شخصية أبي حيان

عاش أبو حيان التوحيدي طفولة معذبة في صغره، وليعوض حرمانه التجأ إلى التحصيل العلمي عله يجد فيه تعويضا، وكان شغفه بالمعرفة كبيرا. حيث قال عنه الحوفي: (كان دائم الظمأ إلى مواردها على اختلاف مذاقها)¹، وامتحن حرفة الوراق فوجد نفسه قريبا من الكتب.

شيوخ أبي حيان

أخذ أبو حيان علومه على مشاهير علماء زمانه، كالنحو والكلام والمنطق، والزهد وفنونا أخرى و من هؤلاء : أبو سعيد السيرافي (284 هج 368 هج)²، وعلي ابن عيسى الرماني(276 هج 384 هج)³ وأبي سليمان المنطقي(ت،390 هج) وقد عرف أبو سليمان بآراء بديعة سواء في الشعر أم في النثر، وقد أورد له التوحيدي رأيه القيم في النثر والنظم، (بأن في النظم ظل النثر وفي النثر ظل النظم)⁴.

كما أخذ عن المروروذي، ويحي بن عدي (ت،364 هج) الذي كان يرى (أن النحو واللغة والشعر لا تدخل في العلوم، وأخذ عن أبي سليمان المنطقي (ت بعد 390 هج): الذي يعد من أكبر علماء بغداد في عصر أبي

1 - أبو حيان التوحيدي ناقدا كلالي مسعود، ص، 75، رسالة ماجستير 1986 جامعة وهران.

2-أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص، 29 (وقد أطلق هذا الوصف على المتنبي وأبي العلاء) فسموا المتنبي شاعر الفلاسفة، والمعري فيلسوف الشعراء..

3 - نفسه، 29

4 - أبو حيان التوحيدي ناقدا، ص، 71.

حيان في المنطق والحكمة والفلسفة، كان مجلسه حافلا بالعلماء والحكماء، واسع الإطلاع في الفلسفة اليونانية وعن هؤلاء جميعا أخذ أبو حيان علمه ومنهم استقى توجهه مما يظهر في آثاره.

آثار أبي حيان

يجمع الباحثون على أن التوحيدي كان غزير الإنتاج، حريصا على النقل أو الرواية، شغوبا بالبحث والجدل، وتنوعت كتبه في الأدب والنحو والكلام والفقه والتصوف والفلسفة واللغة، غير أن حادثة إحراقه لكتبه في أواخر أيام حياته قد حالت دون توفر الكثير من مصنفاته إلينا.

وقد أورد ياقوت الحموي في معجمه أسماء بعض كتب التوحيدي وباللغة 18 كتابا، منها: الصداقة والصديق¹، والإمتاع والمؤانسة الذي هو بين أيدينا بالإضافة إلى مثالب الوزيرين والبصائر²، والذخائر، والمحاضرات والمناظرات³ كما أخذ عن غير هؤلاء ممن يأتي ذكرهم في مواضعهم من هذا البحث.

1- وقد يكون متأثرا فيه بعبد الله بن المقفع.

2- ظهر هذا العنوان — البصائر — في جريدة أسبوعية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طبعيتها الأولى والثانية، ثم المعاصرة.

3- ومما ذكره له من مؤلفات: النوادر، وكتاب الكلام في الكلام، وكتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء، والهوامل والشوامل، ورسالة الحياة، ورسالة في علم الكتابة، ورسالة الأمانة.

موضوعات كتبه

أول ما نشر من كتب التوحيد رسالتان: الأولى في الصداقة والصديق، والثانية في العلوم. وفيهما تعرف الناس على إنتاج أبي حيان، وقد جمع في الرسالة الأولى معظم ما كتب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا في مختلف العصور والأجناس كاليونان والفرس والعرب في الجاهلية والإسلام، وحتى العجم أيضا وقد ألف التوحيد هذا الكتاب في مرحلة متأخرة من حياته، بطلب من ابن سعدان.

أما الكتاب الثاني فهو (المقابسات) ويحتوي على 106 مقابسات أو محاورات بين العلماء؛ وتنوعت موضوعات المقابسات، فمن العلة والمعلوم والمكان والزمان إلى الخالق والمخلوقات في المجال الفلسفي والمواضيع النفسية والأخلاقية و تباين الأخلاق لدى الإنسان وكتمان السر وإفشائه، وحديث النفس، بالإضافة إلى الشعر والنثر وعلاقة النحو بالمنطق¹. وهذا ما جعل الباحثين في كتابات التوحيد يصفون المقابسات بمتحف فكري عجيب.

وأما الكتاب الثالث فهو (الإمتاع والمؤانسة) الذي اضطلع بتحقيقه أحمد أمين، وأحمد زين. وقد ظهر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء صدرت في السنوات 1939 إلى 1944 على التوالي، وهو الكتاب الذي نقوم بدراسته في هذه الرسالة، وهو أقوم كتب التوحيد، وأمتعها خصوصا وأن الأستاذين المحققين قد عنيا بتصحيح الكتاب ومراجعته. كما ظهرت منه نسخة في

1 - أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم، ص108، 109.

الجزائر سنة 1989م بعناية مختار نويوات وقد احتوى هذا الكتاب على سبع وثلاثين ليلة.

وفاة أبي حيان

تضاربت آراء من ترجموا للتوحيدي في تحديد سنة وفاته، فمنهم من جعلها سنة (360هـ) وهذا غير صحيح بدليل أن التوحيدي أحرق كتبه سنة (400 هـ) ورسالته إلى القاضي أبي سهل سنة (400 هـ)¹ ومسودة الصداقة والصديق، وقد أحرق التوحيدي كتبه عام (400 هـ) كما ذهب البعض إلى أنه توفي في مطلع القرن الخامس الهجري، إلا أن الظاهر أن الأجل مدد به إلى العام الرابع عشر من القرن الخامس² إذ توفي وعمره (104) أعوام؛ و ذكر آدم متز أن التوحيدي توفي سنة 400 هـ، وهذا أبعد عن التصديق لأن الدلائل الأخرى من التوحيدي، وغيرها ترجح أنه توفي سنة 410 هـ³.

وروى فارس بن بكران الشيرازي – وكان من أصحاب التوحيدي في الساعات الأخيرة من حياة صاحبه – فقال: (لما احتضر أبو حيان كان بين يديه جماعة فقالوا: اذكر الله، هذا مقام خوف، وكل يسعى لهذه الساعة، وجعلوا يذكرونه ويعظونه، فرفع رأسه إليهم وقال: كأني أقدم

1 – أبو حيان التوحيدي ناقدا، كلالى مسعود، (ر.م)، ص54.

2 – مقدمة كتاب (الهوامل والشوامل) للتوحيدي ومسكويه، ص "خ". أحمد أمين و السيد صقر، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ط، 1، 1954م.

3 – أبو حيان التوحيدي ناقدا، (ر، م)، ص54.

على جندي أو شرطي، إنما أقدم على رب غفور وقضى"1". (أي توفاه الله) وفي هذه العبارة الأخيرة لفظة إلى نفسيته ومزاجه، فحتى وهو على فراش الموت يتحدث بصدق وقوة وأنس لمن سيلاقيه. وهو ما سيكون لنا مفتاحا لمعرفة مكانم الأنس ومعطياته عند أبي حيان لاحقاً.

وحول حياة التوحيدى أنتج مسرحيون عراقيون سنة 2007 م، عملاً مسرحياً استعراضياً بعنوان (أبو حيان التوحيدى) وتم عرضه فى عدة محافل دولية وفى بلدان مختلفة.

تعريف الإمتاع

الإمتاع مفهوم يوحى بالراحة والإفادة، أصله ثلاثى المكونات (متع) ويتعدى بطريقتين التضعيف فيصير (متّع) بتشديد التاء، كما يتعدى بإضافة الهمزة فى أوله وحينها يصير (أمتع) والأول أبلغ فى النطق وأمكن فى النفس، لأن التضعيف هو (تكرير وتركيز صوتي)

ومن وظائف التضعيف التثبيت والتمكين، وفى أصول المفردة قال ابن فارس: (الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد فى خير. منه، استمتعت بالشيء، والمتعة المنفعة)¹ ويظهر من كلام ابن فارس أن للمتعة بعدين: أحدهما المنفعة، وثانيهما امتداد زمانها؛ وجاء على

1 - أبو حيان التوحيدى، ص34-35 إبراهيم الكيلانى، (يرجح مؤلف هذا الكتاب وفاة أبى حيان عام 414 هجرية استناداً إلى بعض النصوص غير المنشورة عن أخبار الأعلام الذين دفنوا فى مدينة شيراز، كما يشير أيضاً إلى ما ورد فى لسان الميزان).

لسان ابن منظور ما يقترب من هذا في قوله: (يقال أمتع الله فلانا بفلان أي أبقاه ليستمتع به فيما يجب الانتفاع به والسرور بكيانه) وقد تلاقى النصان في المنفعة، وتفرد الأول بامتداد زمانها وتفرد الثاني بنوعيتها وهو السرور.

وفي مجال الدراسات الصرفية جاءت هذه الصيغة أصلية ومزيدة، وجاءت المزيدة بشكليين: الأول بتضعيف العين (مَتَّع) والثانية بإضافة الهمزة أمتع. وشاعت الصيغة الثانية في القرآن الكريم أكثر من الأولى ولعل أنها جاءت بتضعيف العين، والتضعيف تكرير وتركيز للنطق وتثبيت المعنى.

أما وإن اختار أبو حيان التعدية بالهمزة، فقد ابتغى من ذلك تقوية اللفظ لتقوية معناه، من انطلاقه والتمتع بغنة الميم فيه بالتركيز عليها وبروزها مما يتفق ويوافق التغمي والتمتع بالتركيز، (أمتع) واعتماد الهمزة المثيرة بقوتها المؤثرة على سامعيها تجعل عنوان الجلسات أخاذا مفيدا.

ونشير إلى أن بين المتعة والأنس مواطن تقاطع وافتراق وأن فيهما معا، المتعة والسرور. ويتميز الأنس بإبعاد الوحشة، وبحسب الحالات وإذا كانت تسمية الإنسان من أنسه بصوته ووجوده فقد يفر البعض من وجود الإنسان كالذي جاء في لسان العرب.

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أطير¹²

1 - معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس، ج،5، ص،293، مادة (متع)

2 - محاضرات في علم النفس اللغوي. ص.78. حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت. والبيت غير منسوب لقائله.

وإذا كان في الأُنس أنواع وتنويع، بحسب الحالات؛ فإنه يختلف باختلاف حالات المرسل والمتلقي معا. وهنا نقف عند أبي حيان متأملين ومتدبرين سر امتلاكه لسامعيه، ودواعي التلاقي بين أبي حيان مع من يؤنسهم ويستأنس بهم.

تعريف الأُنس

ورد في لسان العرب لابن منظور أن الأُنس، هو ضد الوحشة. والأُنيس: كل ما يؤنس به، وأنست بفلان، وتأنست واستأنست: شعرت بالطمأنينة، ويقال: جارية أنسة أي طيبة الحديث أو طيبة النفس، ويقال: أنس الشيء: أي أحسه¹، وأنس أنيس وأنس: ألفه وسكن قلبه به، ويقال: يؤانس مؤانسة: لاطفه، ألفه وسلاه، والإنس: جمع أناس أي الجماعة الكبيرة².

وفي معنى جذور الأُنس قال ابن فارس: (الهمزة والنون والسين، أصل واحد وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش، قالوا الأُنس خلاف الجن... وأنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه)³

1 - ينظر لسان العرب، مادة أنس ج، 6، ص، 14 و15، باختصار

2 - المنجد في اللغة والإعلام، ص 19 .

3- معجم مقاييس اللغة، ج، 1، مادة (أنس) ص، 145. تح، عبد السلام محمد هارون، مط، دار الفكر بيروت لبنان، ط، 1، 1989م.

وما ينبغي أن نقف عنده هنا، أننا نطلق كلمة الأنسة على البنت البكر غالباً، دون سواها من بنات جنسها بينما مفهوم الأنس كما هو ظاهر في ما سبق من النصوص، يطلق على كل من قام بمواقف تؤنس غيره وتدخل عليه الطمأنينة والدعة بالدعابة.

ومن هذا المنظور، تكون العجوز الطاعنة في السن، أكثر أنسا من بنات جنسها من العازبات اللواتي لا تدخلن على غيرهن متعة أو سرورا، وبخاصة الصغار المحتاجين إلى حكايات وأحاديث وألغاز تريح النفس وتسرع الحضور.

بين المتعة والأنس

رأينا في ما تقدم وقدمناه من النصوص، مفهوم ودلالة ومجال كل من مفردتي الإمتاع والمؤانسة، وتبين أنهما يتفقان معا في إزالة الوحشة والقلق وإحلال الراحة والطمأنينة في النفوس، وقد يختلفان أو يتباعدان في الخلفيات والطريقة، فمن ذلك أن الإمتاع يسعى إلى تحقيق هدفه بالعتاء المتميز من أحد الطرفين، والمتعة منفعة متبادلة، وتعني وجود طرفين يتمتع كل منهما بالآخر.

كما أن المتعة تلتصق بالماديات، كالرؤية البصرية، من ذلك ماديات المجالس التي قيل عنها: كان (المجلس ينعقد في قاعة أوبهو كبير، على جدرانها صور ممثلة بالذهب والفضة ويكسو أرضه بسط واحد، أو عدة أبسط من الديباج أو نحوه، وفي أطراف البهو مناوور من الذهب أو الفضة، توضع

عليها شموع؛ ويسبل على أبواب المجالس ونوافذه ستائر من الحرير أو غيره...¹) وفي هذا ما يكفي لجلب المتعة للجالس ولكل مجلس جلساء. وإذا حصلت المتعة والفائدة تحقق الأناس والطمانينة.

ومن هنا، كان الإمتاع اكتساب غاية؛ والمؤانسة تحقيق راحة، وإن كانت الراحة مشتركة بينهما، على قدر متفاوت. كما أن الأناس — من ميزاته — تحقيق الاطمئنان وقد لا يكون في الطمانينة متعة. ومن هنا نقول: تختلف بواعث البحث وخلفياته ومنطلقاته في كل من المتعة والمؤانسة، وأن الإمتاع غايته المنفعة ودوامها وأن المؤانسة غايتها إزالة الوحشة وتحقيق الطمانينة. وعند الوقوف على موضوعات كل منهما في هذا البحث يتضح ما ذهبنا إليه.

ظروف تأليف الكتاب

تكاد تجمع البحوث على أنه لم يبق من كتب أبي حيان التوحيدي التي ألفها إلا القليل، ولم يطبع منها إلا المقابسات، والصدقة والصديق، ورسالة في العلوم، وما بقي منها إلا مخطوطات، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها. ويعتبر كتاب (الإمتاع والمؤانسة) من أجود كتب أبي حيان وأنفعها، حسب الكثير من الدارسين لأعمال التوحيدي.

1 - ينظر تاريخ التمدن الإسلامي، ج، 5، ص، 151 جرجي زيدان، وينظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، آدم متر، ج، 2، ص، 215، تر، محمد الهادي أبو ريدة. ط، 1، 1957م.

جلساء أبي حيان وجلساته

لا يخلو تاريخ الملوك والأمراء والوزراء من جلسات علم، وحلقات تعليم، وأحكام ومحاکمات، تتم في جلسات، عناصرها ثلاثة: — غالباً — وهي: حاكمون متحكمون، وحاشية مفيدون ومستفيدون، وخدم عاملون ومرفهون، كان ذلك في بلاط الأمويين في دمشق، والحمدانيين في حلب، والإخشيديين في مصر. وقد استمرت هذه الجلسات في العصر الحديث كجلسات شوقي في قصر الخديوي، وحلقات العقاد في بيته.

ومن هذه الجلسات والحلقات، ما نحن بصدد دراسته (الإمتاع والمؤانسة) حيث كان أبو حيان يلتقي مع جماعة من خاصية الملك من علماء وأدباء وحكام وحكما؛ في جلسات يظهر فيها جميع من حضر مقدرته في المعرفة والاطلاع بالسؤال أو بالجواب، وكان أكثر المجيئين أبو حيان، وكان المتسائلون غيره، وأكثرهم من ذوي الجاه والسلطان.

وثمة قصة تروي كيفية وصول أبي حيان إلى هذه المكانة وهي أن رجلاً يدعى أبا الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان التوحيدي وللوزير أبي عبد الله العارض¹ فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ومدحه عنده، فجعل ذلك الوزير يقرب أبا حيان من مجلسه ومجالسيه، حتى تولى أبو

1 - هو أبو عبد الله الحسين، ويسمى أبا سعدان، ومفردة العارض تعني من يعرف العسكر، ويحفظ أرزاقهم، ويوصلها إليهم، ويعرضهم على الحاكم إذا احتيج إلى ذلك. ولعل أبا عبد الله تولى هذه المهمة قبل توليته الوزارة، فعرف بما وانتسب إليها.

حيان مسامرة الوزير ومن حضر هذه المجالس سبعا وثلاثين ليلة¹ كان في هذه الليالي أبو حيان يحادث الحاضرين، وكان الوزير ومن معه يسألون أبا حيان في مسائل مختلفة بحسب السائلين وموضوعات التساؤل، وكان أبو حيان هو المعني بالإجابة، في جلسات سمر دامت أربعين ليلة، قضاها أبو حيان مع مجموعة من ذوي العلم والمكانة والجاه.

وكل ما يلفت الانتباه ويثير التساؤل هو زمان الجلسات، التي سموها (ليالي) فهل كانت ليالي فعلا، أم كنايات، وإن كانت ليالي، فهل كانت متتابعة أم منفصلة؟ لأن في اتصالها قصرمدة وقلة إفادة، وفي امتدادها وتقاطعها تطور أحوال وتطوير أفكار.

فإن كانت متصلة فهي لاتزيد عن الشهر إلا بثلثه على الكثير، وقد يكون هذا العدد اقتداء وتيمنا بموسى عليه السلام، في قوله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)²

وظاهرة التيمن والاقْتباس شائعة في تراثنا العربي، ونعود من حديث الجلسة إلى من دار هذا الحديث عليهم وهؤلاء ثلاثة وهم: أبو حيان، ورجل وسيط توسط لأبي حيان هو (أبو الوفاء المهندس) ثم الوزير أبي عبد الله العارض، ومن بعده أبي الوفاء³. ويعد هؤلاء ركائز الجلسات

1 - هكذا تحكي القصة، وهذا العدد جاء في (الإمتاع والمؤانسة) تقديم وتعقيب مختار نويوات مط، الرغاية الجزائر، ط، 1، 1989م، وفي المجموعة الكاملة وردت أربعون ليلة.

1- سورة الأعراف، الآية 142.

ومرتكزاتها، بهم ومنهم تكون (المؤانسة، والمساعدة، والمفاكهة، والمواتاة)¹ وفي مفاهيم هذه المفردات الأربع، يكمن سر المتعة والأنس معا؛ وهو ما نقف عنده في موضعه من هذا البحث.

وصف الكتاب

قال القفطي في وصف الإمتاع والمؤانسة: (وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم، فإنه خاض كل بحر وخاض كل لجة، وما أحسن ما رأته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو: ابتداء أبوحيان كتابه صوفيا، وتوسطه محدثا، وختمه سائلا ملحفا)².

وقسم أبو حيان كتابه إلى ليال، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني، وقلت له وأجبتة وكان الذي يقترح الموضوع دائما هو الوزير وينتظر الإجابة، وإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكارا و مسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها، فقد يسأله سؤالا وأثناء الإجابة يتم ذكر ابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي، فيسأل الوزير أبا حيان عنهم وعن رأيه فيهم، وهكذا

3 - هو محمد بن يحيى البوزجاني. (348هج376هج) كان من ندماء ابن سعدان، وقال فيه: (فهو والله أبو الوفاء، يعقد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية) وهذه صورة أدبية عما في المؤانسة.

1 - ينظر الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج، 1، ص، 32. مط، دار الكيلاني.

2 - نفسه، ج، 1، ص، 273.

يستطرد من باب لباب حتى إذا انتهى المجلس يطالبه الوزير بذكر طرفة من الطرائف يسميها (ملحة الوداع)¹ التي قد تكون نادرة لطيفة أو شعرا²، أو غير ذلك، مما يفتح شهية الوزير أكثر إلى حضور الليلة المقبلة، فيبقى مشتاقا لأنس التوحيدي.

1 - الملحة، لعلها مستقاة من مادة الملح (بكسر الميم وتسكين اللام) وجاء في لسان العرب: الملح ما يطيب به الطعام. ج، 2، ص، 599. وفي معنى الملحة قال: (والملحة الكلمة المليحة) ج، 1، ص، 602.

2 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص "م" بتصرف.

الفصل الأول

دلالة الأَنس في المفردات

الصيغة الإفرادية مفهوم وتنويع

الصيغة مفهوم يوحي بالتآلف والانسجام وحسن التنظيم، ومنه كانت صناعة الذهب، ولا يقال ذلك في صناعة الحداد، فصانع الذهب صائغ وصانع الحديد حداد، ومن هنا يقترب مفهوم الصيغة من الأناقة وحسن المنظر، مما يقربه إلى المتلقي الناظر.

وإذا كان الأمر كذلك فإن للصيغة أشكالاً وتشكيلات، تختلف باختلاف عناصر الأجسام المصاغة ومكوناتها. وأقلها في اللغة تشكيل المقطع المصاغ من صائت وصامت، وفوقه المفردة المصاغة من عدة صوامت وصوائت، وتسمى الصيغة الإفرادية، وتنقسم هذه الصيغة وتنوع بحسب ما تنصرف إليه إلى أربعة أقسام.

تنقسم الصيغة الإفرادية من حيث ما تدل عليه وتنصرف إليه، إلى أربعة أصناف وهي: الحديثة المرتبطة بحدث وزمان مطلق، والذاتية المقترنة بذات مقدرة ومقيسة، والوصفية العائدة على ذات وتسمى المشتقة أيضاً. والمزجية المركبة من صيغتين مرتبطتين بمعنى واحد في مثل (بعلبك وبلعباس) وتؤدي كل صيغة من هذه وظيفة هامة منها عملية التنويع والتطوير والإثراء. وسماه اللغويون التوليد، واعتبروا الصيغة

الإفرادية أساسا (للتوليد والتصرف في أشكال شتى)¹ أي أن الإنسان يحتاج دوما إلى التعبير عن معان جديدة، والصيغة تعبر بأشكالها المتنوعة عن هذه الدلالات وتتكيف مع جميع حاجات الفرد وتطلعاته.

هذا من حيث التشكيل وأما من حيث المعنى والدلالة فإن لكل صيغة مكان دلالة تختص بها فالحدثية (تكمّن دلالتها في الوسط، مما يعرف بحركة العين وذلك نحو (فعل) — بضم العين — فإنها تأتي لأفعال الطبايع، ونحوها في مثل : (حسن وقبح، كبر وصغر — بضم العين —)، ومن ثم كان لازما، وتختص هذه الصيغة — غالبا — بالأوصاف الخلقية الثابتة وللطبايع غير المتغيرة، وأما صيغة (فعل) — بكسر — فتدل على التغير مثل مرض وحزن، وهي حالات متغيرة، وأيضا على الألوان مثل سود، وتمتيز كل من (فعل) و (فعل) بدلالة تنويعية². والرفع خلاف الجر في اللفظ والمعنى.

وإذا نظرنا إلى الصيغة من وجهة نظر صوتية، فإنها تعني (شكل الكلمة المفردة وهيئتها ووزنها)³. وأما دلالة الذوات، فتكمّن في حروفها و في صوائت أواخرها، ففي مثل (ضرغام) تدل الصيغة مباشرة على حيوان قوي: بينما تكمن دلالة الصيغ الوصفية في بدايتها — غالبا —

1 - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، ص128. مط، دار الفكر، ط، 7، 1981م

2 - شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، ج، 1، تح، محمد نور الحسين، ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ج، 01، ص74، مط، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط، 1، 1975م.

3 - الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات وامتداد. مكي درار، ص407، رسالة ما جستير جامعة وهران، السانية، 1985م

وذلك في مثل قوله تعالى: (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)¹. فقد جاءت الصيغة بفتح (الحاء): حمل: وسرعان ما تتغير حركة بدايتها في قوله تعالى: (وساء لهم يوم القيامة حملاً)² فقد حل الكسر محل الفتح في البداية ليوحي بدلالة نوعية، ومن هنا فإن الدلالة في كل صيغة إفرادية مكتسبة تعبيرية، تتغير داخل السياق، وتنتقل من حال إلى حال حسب حاجة الناطق بها. وفي تلوين التشكيل تلوين دلالي، وفي كل تلوين دلالي متعة تعبيرية، مما سيظهر مفصلاً في موضعه من هذا البحث.

الإفراد

يختص الأفراد بالدلالة على أسماء الأعلام والذوات في مثل محمد وفاطمة، وعلى الأجناس المختلفة كالإنسان والحيوان، وعلى المدركات الحسية كالنور والظلام، والألوان والطعوم والروائح. وتنحصر دلالة هذه الصيغة في ذوات المفردات. وللمفرد حدود وتعريف فمن حدوده أنه (لا يتم معناه إلا بانضمام شيء آخر إليه)³ وقد جاء تعريفه مختصراً عند الجرجاني في قوله: (والمفرد ما لا يدل جزء لفظه على جزء معناه)⁴

1 - سورة الطلاق، الآية، 06.

2 - سورة طه، الآية 101.

3 - شرح الحدود النحوية، ص، 69، جمال الدين الفاكهي، تح، وتق، محمد الطيب إبراهيم، مط، دار النفائس، بيروت ط، 1، 1996م.

4 - كتاب التعريفات، تأليف الشريف الجرجاني، ص، 246، مط، دار الندى الأسكندرية، ط، 2004م.

وتوسع أبو البقاء الكفوي في الحديث عن المفرد نقف دونه هنا¹ وقد نعود إليه إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وما قادنا إلى الحديث عن المفرد إلا لنعلم الغالب على حديث أبي حيان، وقد كان للمفرد النصيب الأوفر من حديثه. يظهر ذلك من افتتاح ليليه فكان في الأولى (الشيخ، حياتك، مجلس، وزير) وفي الليلة الثانية (كلامه، رضاه، رجاءه، جاره معاشره). وكذا في بقية الليالي.

وينتهي بنا تتبع مفهوم الأفراد ووظيفته إلى أنه نوعان: أفراد في اللفظ والمعنى، وذلك كأن تقول لرجل مخاطبا إياه (أنت العاقل المفكر)، وإفراد في المعنى دون اللفظ، كأن تقول لرجل واحد مخاطبا له (أنتم العقلاء المفكرون)، فالمخاطب مفرد، والتعبير مركب تركيبا عدديا معنويا، ولكل تعبير مقام وأحوال.

ونسوق هذا هنا لأن ذلك كان مما اتفق عليه أبو حيان والوزير في قوله (أبدلني الميم بالكاف والتاء)، ويعيد ذكر هذا الموقف في الليلة الثامنة والثلاثين بقوله (كانت هذه الأيام بعد استئذاني إياه في المخاطبة بالكاف حتى يجري الكلام على نسق الاسترسال)² أي أن نستعمل كاف الخطاب وتاءه فنقول: أنت لك هذا، في موضع أنتم لكم هذا. أي اسمح لي أيها الوزير بالتقرب من هذا المجلس ومن حضره بأسلوب

1 - الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ج، 4، ص، 229 وما بعدها، أبو البقاء الكفوي، إعداد عدنان درويش، ومحمد المصري، مط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ط، 2، 1982م.

2 - الإمتاع والمؤانسة، ج، 3، ص، 241 الليلة الثامنة والثلاثون.

الخطاب المباشر، بدل الابتعاد عنه بالتعظيم والتفخيم، وهذا جانب من جوانب الأنس إلى الحضور للاستمتاع؛ فمن ميزات الأنس التقرب في المكان بالحضور والجلوس، والتقرب في الحديث بالهمس والنجوى. ولهذه الأساليب دورها ووظيفتها في مجال الحديث ونوعية الأحاديث فيها بساطة واقتراب، وفيها سهولة واندفاع، وفي أسلوب المباشرة حسن المعاشرة.

تنويع الأفراد

الأفراد من حيث الجنس نوعان: مذكر ومؤنث ثم ينقسم كل منهما إلى أقسام، وسبق الحديث عن التذكير (لكون المذكر هو الأصل لم يحتج فيه إلى علامة)¹ ومن بعده التأنيث، وهو الخاص بكل ما له علامة، هي نوعان معنوية في مثل: هند وسعاد ولفظية في مثل: فاطمة وليلى ودنيا؛ ويهمننا من هذا ما جاء في ليالي أبي حيان.

يقال من الأنس اشتق اسم (الآنسة) لأنها تؤنس بحديثها، ولم تخل ليالي المتعة والراحة والفرح من وجود أوانس يلقين شعرا، أو يرسلن ألحانا، أو يرددن قصصا، أو يؤديان رقصا؛ ويطلق على الكثير منهن اسم الجوارى، ليطمئن عنهن الحرائر. ولكن ليالي أبي حيان جاءت على غير المعتاد، يقل فيها ذكر الأنثى كعنصر فعال، في جلب المتعة والأنس. وكأن ليالي أبي حيان كانت جلسات عقل وفكر، خلاف غيرها أو كان غيرها يعقد للهو وللعاطفة والخيال، وفي الجميع متعة، ولكنها

1 - شذا العرف في فن الصرف، ص 85، أحمد الحملاوي، مط، المكتبة الثقافية بيروت

تختلف باختلاف الحاضرين وموضوعات المتحدثين؛ وإذا كان لكل مجلس ميزاته وخصائصه فمن ذلك أيضا عدد حاضريه.

الجمع والتركيب

تحدثنا عن المفرد من حيث المفهوم والوظيفة على ما جاء به أبو حيان في ليالي أنسه ومتعته مع جلسائه، والمتوقع — وبخاصة في جلسات الأعيان — أن يكثر عدد الحاضرين في هذه الليالي ويتنوع، وكنا أشرنا من قبل، إلى أن أبا حيان قد اتفق مع الوزير أن يكتسي أسلوب الحديث طابع الأفراد، بدل أسلوب الجمع، لما فيه من تعظيم وتبجيل وعلو مكانة؛ وقد وظف أبو حيان (التاء والكاف في موضع الميم) والجمع من حيث الجنس نوعان أيضا، مذكر ومؤنث؛ ومن حيث التركيب هو نوعان أيضا، سالم وتكسير؛ وجمع المؤنث السالم ما انتهى (بألف وتاء)¹ وليس لجمع التكسير قاعدة تطرد.

1 - شذا العرف. ص. 98، وينظر تفصيله بأكثر من هذا في المغني في علم النحو، ص، 49 لأبي المكارم فخر الدين بن يوسف، تح، قاسم الموشي، مط، دار صادر بيروت، ط، 1، 2007م. وينظر الكناش في فني النحو والصرف، ج، 1، ص، 127، للملك المؤيد صاحب حلب، دراسة وتحقيق، رياض بن حسن الخوام، مط المكتبة العصرية، بيروت، ط، 1، 2000م.

ومن الملاحظ أن جمع التكسير يكثر في الذكور ويقل في الإناث¹ بينما قلّ الجمعان معا في ليالي أبي حيان، مما يدل على أن هذه الليالي كانت ليالي متعة من نوع خاص وكان يغلب عليها طابع الجدل في التفكير والتعبير، ولم تخل من حوادث وأحداث.

الصيغة الحديثة

إن الحدث هو الفعل وهو العمل الذي يحقق به الموجود وجوده، لأن المخلوق خلق ليقوم بأعمال مختلفة ومتعددة، وأولها عبادة الله — سبحانه تعالى — فالعبادة إيمان وعمل، لقوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)² والفعل هو الشاهد على وجود الإنسان، الذي يميزه عن الجماد، ثم إن لكل فرد أفعالا تحدد مكانته داخل المجتمع إما تخلده، أو تحط من شأنه. وفي ذلك قال تعالى: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله)³ مع أن الله يعلم كل عمل كان خيرا أو شرا.

وقد اهتم الباحثون بمسألة الفعل أو الحدث، ولا يزال اهتمامهم متواصلا للوظيفة الأساسية التي يؤديها (الفعل) فهو صورة العمل وهو (عامل قوي بل هو أقوى العوامل، فهو يرفع فاعلا، وينصب مفعولا، كما ينصب سائر ما أسموه بـ: (الفضلات) كالمفاعيل والحال، ونحو

1 - ذهب مكّي درار في محاضرة له ألقاها على طلبة ماجستير، مشروع التراكيب سنة 2008م، إلى أن علة جمع التكسير في الإناث راجع إلى قلة ذكرهن في الأحاديث العامة وقلة الذكر هو قلة استعمال، وجمع التكسير يكون لما كثر ذكره واستعماله.

2 - سورة التوبة، الآية، 94 .

3 - سورة البقرة، الآية، 197

ذلك، وهو يعمل أينما كان متقدما أم متأخرا، ظاهرا أم مقدرًا"¹ ويرتبط الفعل بشخصية الإنسان وكيانه وأخلاقه، وأيضا بتركيبته النفسية والاجتماعية، فيسجل المخلوق بصماته خلال الفترة التي يعيشها في مجتمعه ومحيطه.

وإن ابتداء سيويه بالحديث عن الاسم وألحقه بالفعل، فذلك على أساس أن الفعل نتاج الاسم، ولو لم يكن الاسم لما كان الفعل؛ وفي ذلك قال: (فأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع)² أي أن الحدث، إما يكون ماضيا أو حاضرا أو متوقعا.

ومن ثمة أضيف إليه شرط الارتباط بالزمن المطلق، فأصبح دالا على (حدث، وزمن يقترن به)³ ومما أضيف إليه أيضا ارتباطه بالمعنى، ومن ثم أصبح الفعل ثلاثي الأبعاد: حدث، وزمن، ومعنى. وقد لا تدل الصيغة المنفردة على الزمن، إلا إذا اتصلت بقرائن تحدد لها زمان وقوعها. وسيظهر هذا في مسامرات أبي حيان عند العرض والتحليل من هذا البحث.

1 - الفعل، زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص15، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط، 2، 1980 م.

2 - الكتاب، سيويه، ج01، ص12.

3 - معجم الشامل في علوم اللغة العربية، ومصطلحاتها، ص651، محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي.

وإذا توقفنا عند ليالي أبي حيان، وجدناه يفتتحها جميعها بأفعال، كقوله في الليلة الأولى: (وصلت أيها الشيخ)¹ وفي الثانية: (حضرت ليلة أخرى)² وفي الليلة الثالثة (قال لي ثم حدثني)³ وهكذا إلى آخر لياليه إذ يفتح الليلة الثامنة والثلاثين بقوله (قال لي مرة أخرى)⁴ كما يلاحظ أن معظم أفعال الافتتاح كانت ماضية منصرفة. وأن الحديث عن الماضي يندرج في خانة التاريخ. والفائدة منه توسع آفاق المتلقي ومن المعروف أن حياة الإنسان تمتد في الزمان والمكان بمعرفتين هما معرفة (التاريخ والجغرافية) إذا أن المعرفة بالتاريخ وأحداثه تمدد حياة الإنسان في الزمان، والمعرفة بالجغرافية ومساحاتها تمدد وجود الإنسان في المكان.

الزمن الحدثي

الزمن نوعان: مطلق ومقيد، وفيه قال النحاة (واعلم أن الزمان ينقسم إلى قسمين: الأول المختص، والثاني المبهم، أما المختص فهو ما دل على مقدار معين محدود من الزمن، — مثل السنة والشهر والأسبوع واليوم. وأما المبهم، فهو ما دل على مقدار غير معين، ولا محدود، مثل: اللحظة، والوقت والحين)⁵ ومن هذا المنظور قسم النحاة ظروف الزمان إلى قسمين مطلق ومقيد ومن هنا ننطلق في التعبير عن الزمان في هذه

1 - الإمتاع والمؤانسة ج، 1، ص، 43 ط، الجزائر

2 - نفسه، ص، 56

3 - نفسه، ص، 71

4 - نفسه، ج، 3، ص، 218. ط، الجزائر

5 - التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص، 237

بتصرف. مط، دار الإمام مالك، طبعة منسوخة.

الدراسة، وفيها يتبين أن للزمن ثلاثة أبعاد، واحد لغوي مطلق والثاني فني والثالث تعبيدي.

الأول هو الحياة بكل ما لها وما فيها، ويرتبط بحركة الأفلاك، وقسمه مستعملوه إلى قرون وسنين وشهور وأيام ثم تقسيمات جزئية بحسب حاجة الناس إليها، وهذه تقسيمات الناس في دنياهم لدنياهم، وهناك وصف للزمن الأخرى خارج عن حركة الأفلاك. وقد عرف اللغويون الزمان بقولهم: (هو عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء)¹ وذهب الفلاسفة إلى أن الزمان (لا يفهم إلا مع الحركة، إذ الزمان هو شيء يفعلُه الذهن في الحركة، فالزمان ليس شيئاً غير ما يدركه الذهن من هذا الامتداد المقدر للحركة)² والحركة هي دوران الفلك. ومن هنا يظهر أن للزمن مفهوماً واسعاً، لأنه هو الوجود والموجود معاً. وأن الزمان والإنسان مكملان لبعضهما، فلا يمكن تصور الزمان، إلا من خلال الإنسان، (وأن لا يدرس الإنسان، إلا انطلاقاً من الزمن، لأن الزمان هو سر الكائن الإنساني كله)³

وقسم الدارسون الزمن إلى أكثر من ثلاثة أقسام منها: الحاضر، والماضي القريب، والماضي البعيد، والمستقبل، والمستقبل القريب والبعيد

1- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ج، 2، ص، 405، ع، 2،

س، 1.

2 - مفهوم الزمن في فلسفة أبي الوليد بن رشد، عبد الرزاق قسوم، ص، 54، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ط، 1، وحدة الرغاية. 1986م

3 - نفسه، ص، 10، باختصار وتصرف.

كذلك. وأشهر هذه التقسيمات ثلاثة، ماض، وحاضر، ومستقبل، وإن كان على الحاضر تحفظ من بعض الدارسين القدماء. واختلفوا في الأول منها، حيث قال أبو القاسم الزجاجي: (فأسبق الأفعال في المرتبة، المستقبل، ثم فعل الحال ثم الماضي)¹. كما اختلفت المفاهيم في تحديد الزمن، فكان منه المطلق والمقيد والنحوي والصرفي والسياقي، والمرجح هنا هو الحاضر، لأنه واقع، وأما المستقبل، فهو مجرد تصور وتخمين، والماضي مضي: أي انقضى أمره وعهده، ويبقى الحاضر تحقيقاً للتصور المستقبلي، مع اختلاف فيه عند القدماء.² كما يبقى تقسيم زمن كل صيغة مرهونا بموقف المتكلم والسامعين، وبتوقيت الحديث بحسب التقسيمات الفلكية والعرفية، والمهم في كل هذا هو توظيف الزمان ودلالته في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي. وقد كان زمان الحدث عند أبي حيان هو الليل، وكانت لياليه منقضية ومن ثم كان طابع أحاديته قصصاً وحكايات، يتجاذب أطرافها الواقع والخيال والكل في الليل.

ليالي العرب

الليل قسيم النهار وضده، وكل من الليل والنهار يتعاقبان، وقد تقدم النهار على الليل في قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار)³ وقد تتبعت لفظة (ليل) في القرآن الكريم فوجدتها تكررت ثلاثاً وتسعين

1 - الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، ص85، تحقيق، مازن المبارك.

2- الإيضاح في علل النحو، ص51،

3 - الآية، 40 من سورة يس.

مرة.¹ — إن لم أكن مخطئة في ما أحصيت — وقد شاع استعمال لفظة ليل في التراث العربي في جميع المجالات، فكان الليل للسهر والسمر والتفكير والتدبير والتخطيط والتآمر، حتى صار الليل وعاء لكل شيء. فقد ولد محمد صلوات الله عليه في ليلة الاثنين، وقبضه إليه في ليلة الاثنين، و أنزل الله القرآن في الليل، وأسرى بمحمد صلوات الله عليه في الليل، ومن ثم كانت ليالي العرب متنوعة بتنوع المطالب، والرغبات والحاجات، فكان السهر للتفكير والتدبير، وكان السمر للراحة والمتعة والأنس، فكانت ليالي العلماء وليالي الفقهاء وليالي الشعراء.

وقد كان الليل ولايزال، ملهم الأدباء والفنانين، وقد اختار الشعراء الليل والخلوة لإبداع الشعر وإنشاده، ويروى أن جرير بن عطية كان إذا أراد صناعة شعر اختار فترة من الليل (وارتمى على السطح وحيدا مضطجعا مغطيا رأسه، وأحيانا يتدحرج حتى يأتيه شيطانه فينطلق لسانه)² ومن هذه الحال وعليها أبدع جرير كثيرا من قصائده.

وما يفهم من هذا النص، أن جريرا كان يكتب قصائده لأنه (كان يوقد سراجَه) مع أن المرغوب فيه من أعمال الليل، هو الظلام وانعدام الرؤية البصرية والحواجز الطبيعية، لتحل محلها الرؤية القلبية، وسعة الآفاق الفكرية، والشحنات العاطفية. (ولعل الليل كان أصدق

1 - المصحف المرتل الإلكتروني، وينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص، 656. مط، دار الكتب الحديثة، بمصر ط، 1، 1378 هج.

2 - العمدة، في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ج، 1، ص، 81. مط، دار الفكر بيروت لبنان، ط، 1، 1973 م.

أصدقاء الشاعر، كان أغلى عليه من كل شيء.. إنه مهاد مغامراته،
ومسرح مؤامراته، وخفاء غاياته، وقد أحبه وترقبه..¹ وكان معظم
الساهرين والمسامرين من محبي الشعر ومتذوقيه إن لم يكونوا شعراء
كلهم.

ومن هذه النظرة، كانت ليالي المتعة والأنس عند الشاعر الفنان
الذي (عاش في هذه الليالي ونما في سوادها ووجد في غفلة العيون
وإطفاء المصابيح ونوم السمر الأفق الواسع الذي يستطيع أن يتنفس
فيه)² ومن جو هذه الليالي استقى أبو حيان لياليه فأفرغ فيها مادته
وملأها بألوان فنونه.

والشعراء في نظرهم ليل تفاوت واختلاف، ويتفوقون في التشكي
منه، ففي الوقت الذي يشكو امرؤ القيس من وحشة الليل ويتصوره
مخلوقا مفترسا مبتلعا يخاطبه بأن يتنحى ليقبل ضياء الصبح بقوله:
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل)³
بينما يشكو عمر بن أبي ربيعة من قصر ليله ويتحسر على انقضائه
بقوله:

(فيالك من ليل تقاصر طوله وما كان ليالي قبل ذلك يقصر)¹

-
- 1 - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة. شكري
فيصل، ص. 513. مط، دار العلم للملايين، بيروت ط، 4، 1959 م
 - 2 - تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، ص، 474 باختصار
 - 3 - شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، ص36، منشورات دار
القاموس الحديث، بيروت، لبنان.

وبين هذا وذاك، تجئ ليالي أبي حيان التي لا يشتكى منها قصر ولا طول² ومرد ذلك في ما يبدو من أن أبا حيان لم يكن حراً في اختيار مواضع لياليه ولا متحرراً من سلطة القصر، ولا من سلطان القهر، نراه في مطلع لياليه يستمع لشروط صاحب المجلس ويتفهمها ويعيدها قائلاً: (فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا، ووعيته وعيا تاما؛ وبان³ لي الرشد في جملته وتفصيله، والصلاح في طرفيه ووسطه، والغنيمة في ظاهره وباطنه، والشفقة من أوله إلى آخره)⁴ ومما كان القي إليه وعليه، هذه الفقرة (ومتى لم تفعل هذا — جملة من الشروط — فانتظر عقبي استيحاشي منك، وتوقع قلة غفولي عنك، وكأني بك وقد أصبحت حيران يا أبا حيان، تأكل أصبعك أسفا، وتزدرد ريقك لهفا، على ما فاتك من الخطوة لنفسك، والنظر في يومك لغدك...) ⁵

ويفهم من هذا المنطلق أن للمجلس شروطا وطقوسا تراعى، وأن هذا المجلس ينضوي تحت مجالس الأبهة واللهو، وإن كنا أوضحنا من قبل أنواع مجالس العظماء، فإن هذا يصنف في مجالس الأدب والشعر ويروى أن الخلفاء والأمراء والوزراء (كانوا يعقدون مجالس الأدب على الغالب

1 - ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص، 102، الشركة الوطنية للكتاب، بيروت لبنان، د.ت.

2 - هذه العبارة مستقاة من قول امرئ القيس: (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى منها قصر ولا طول)

3 - هي في الكتاب هكذا (بأن) همزة قطع ويظهر أنه خطأ مطبعي فصححناها

4 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي ج، 1، ص، 25، ط، الجزائر.

5 - نفسه، ج، 1، ص، 28، ط، الجزائر

لترويح النفس من مشاغل الدولة، وتلذذا بالاطلاع على آداب العرب وأخبارهم، فاختص بكل خليفة جماعة ممن عاصروه من أصحاب الأخبار والشرع، يجالسونه في أوقات معينة أو إذا دعاهم في ساعة قلقه أو أرقه. وقد يكون ذلك في أوساط الليل والناس نيام¹ وفي هذا النص ما ينطبق على ما سقناه من قبل في وظيفة أبي حيان ومكانته في هذا المجلس.

أما موضوعات المتعة والأنس فيقول فيها(فلا يزال الرجل ينتقل بحديثه من خبر إلى نكتة إلى نادرة إلى شعر، حتى يزول ما في نفس الخليفة وينشرح صدره وقد تفرغ جعبة المحدث مما يعلمه من الأخبار قبل أن ينشرح صدر الخليفة فيضع قصة من عند نفسه يبينها على نكتة أو حكمة مما يعلم ارتياح الخليفة له)²وهنا فهمنا عدة قضايا أهمها مواضيع المجلس وهي:النكتة والنادرة والشعر والحكمة. وهي خلفيات المتعة والأنس.

معطيات المتعة والأنس

المتعة والأنس مفردتان مترادفتان تسيران جنباً إلى جنب في أحاديث أبي حيان كلها، بحيث لاتنفصل الواحدة عن الأخرى ولاتنفصم. وما نتساءل عنه هو ما هي بواعث كل منهما وما هي خلفياتهما ومن أين تأتي لأبي حيان أن يمتلك مسامع الحاضرين ليالي عديدة دخل بها التاريخ؟ حتى وكأنها فاقت أحاديث ألف ليلة وليلة أو قاربتاها.

1 - تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ج،5، ص،158.

2 - تاريخ التمدن الإسلامي، ج،5، ص،158.

هنا نقول لكل حديث خصائص وميزات ولكل زمن أهله وما
يملكون. وما يمكن الاتفاق عليه في تحقيق المتعة والأنس عنصران هما:
الشخصية والثقافة، وكل ما قدمناه دار حول طابع الأداء، وهو ما
يندرج تحت مفهوم المستويات اللسانية من أصوات ومفردات وتراكيب
وأساليب وما فيها من معان ودلالات وأفكار. يبقى فوق كل هذا جانب
هام هو شخصية الرجل.

وإذا رجعنا لما قلناه في مدخل هذا البحث عن صاحب الإمتاع،
وإلى آخر ما قاله من قبل وهو يحتضر، لفتت انتباهنا هذه الفقرة وهي
(لما احتضر أبو حيان كان بين يديه جماعة فقالوا له: اذكر الله، فهذا
مقام خوف، وكل يسعى لهذه الساعة، وجعلوا يذكرونه و يعظونه،
فرفع رأسه إليهم وقال: كأني أقدم على جندي أو شرطي، إنما أقدم على
رب غفور... وقضى) ¹"أي توفاه الله.

في هذه الفقرة تظهر روح أبي حيان المرحة المتفائلة، وإن ظهرت
عليها مسحة من مذهب المرجئة هنا، فإن ذلك لم يظهر عليه من قبل في
مجالسه، وأن هذه مسحة الروح الهادئة المطمئنة المؤمنة برحمة الله.

1- أبو حيان التوحيدي، ص، 34، 35 إبراهيم الكيلاني، ويرجع هذا الرجل وفاة أبي
حيان إلى سنة، 414 هج.

هذا عامل الشخصية في جلب المتعة واختلاق الأُنس، وللشخصية في مجال الفنون أهميتها وفاعليتها، يضاف إليها مكتسباتها الفنية، وهي هنا تقترب من العشرة، في ما بدا من حديثه في قوله: (فلا يزال الرجل ينتقل بحديثه من خبر إلى نكتة إلى نادرة إلى شعر، وقال في موضع آخر إن حديثه كان يتميز بالمؤانسة الطيبة، والمساعدة المطربة، والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية.

إن مجرد السماع لهذه المفردات، وهذه التراكيب يجد فيها السامع ما يمتع ويؤنس؛ فيها ميل لما يسمع ويلقى، وإذا جمعنا ما سبق من المفردات وجعلناها عناوين لجلسات، كانت ممتعة ومؤانسة بحق؛ لما فيها من اللطف واللذة والشهية؛ وإذا صح أن تكون هذه المفردات عناوين لجلسات فإنها تصح أيضا، أن تكون مفاتيح منافذ، يطل منها الجليس على غياهب الماضي وآفاق ماهو آت.

ذكريات الأُنس

لقد غلب على ليالي أبي حيان التوحيدي الحديث عما مضى وانقضى، أي الزمن الماضي الذي يدل على (اقتران حدث بزمان قبل زمانك، ويتناسب الماضي مع الحكاية، وذكر ما جرى في المجالس المؤنسة، وكذا الحديث في كل علم وفن، وسرد الوقائع الراسخة في الذاكرة، ولذلك ورد التناسق بين الماضي والحكي، حيث قص أبو حيان قصصا غاصت في كل بحر، وتكررت الأفعال الدالة على الحديث والاسترسال، ومنها: (سأل، حضر، عاد، مر)، وهي أفعال تدل على

الحركة والتغير وتلبية الدعوة، ومنها الفعل (سمع) الدال على التلقي والتقبل والتجاوب وعموم الحضور الذهني بالمتابعة والإصغاء لكل ما يحكى ويروى، و يعنى الاصغاء ميل المتلقي على ما يورد له من معاني لغوية، وفي هذا المجال يشعر بطمأنينة النفس وراحة البال.

وفي مجمل ليالي التوحيدي يتكرر الفعل(ضحك) الدال على الفرح والأنس والراحة، وكلما تكرر ذكر فعل(ضحك) ترد بعده عبارة — أضحك الله سنه — وورد في المعاجم إن الفعل (ضحك) يعنى انبسط وجهه، بحيث تظهر الأسنان أي؛ افتر عن ضواحه، واستبان، وقد تكرر على سبيل المثال (ضحك) في الليلة الرابعة 61 مرة. كما يتكرر الفعل (قال) في العديد من الليالي، ويكاد يتكرر في ليلة واحدة 16 مرة، ويدل على كثرة الحوار والحكي والسرد في الرواية، وهو ما يؤلّد الاستئناس، وفي الليلة الأولى تكرر فعل (قال) 49 مرة، وفي هذا ترجيع وترديد وتثبيت لما سبق.

أما الفعل (تاق) فيدل على الاشتياق والحنين، وإن دل الفعل (حدث) على الإخبار والروي، فإن الفعل (حكى) فهو نقل ووصف للخبر، وقال عنه: (فقد تاق نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس، ولأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة، تُردّد في نفسي على مرّ الزمان، لا أحصيها لك في هذا الوقت، لكنني أنثرها في المجلس بعد المجلس)¹

وحضور التوحيدى بيعث الأفس فى مجلس الوزىر وفى الوزىر نفسه المشوق إلى معرفة ما سىلقى فى لاقى اللىالى، والمقصود هنا أن الوزىر قد اشتاق إلى حضور أبى حىان لىحدثه ویؤانسه، فى مجالس متتابعة ولیغوص معه فى كل بحر وفن، والمحادثة تحق الألفة والأفس والمتعة، ویقال: (استمتع بكذا: انتفع وتلذذ زمانا طویلا)¹. ومن الأفعال التى تدل على كثرة الخیر والحفظ (رزق، قنع، شرب، طعام، أكل). ونجمل الأهم منها فى الجدول اللاحق.

جدول الأفعال المؤنسة

الزمن الماضى

الأفعال	وزنها	دالاتها
ضحك	فعل	الانبساط والفرح
تاق	فعل	الحنين والاشتياق
قال	فعل	السرود والإخبار
حكى	فعل	النقل والإیصال
منح	فعل	العطاء والسخاء
مدّ	فعل	أوصل وأعطى
أوحى	أفعل	الحدس والتبلىغ
لطف	فعل	الرقعة واللبونة
ستر	فعل	أخفى وغطى
اشتهى	افتعل	التلذذ بالشىء
رقّ	فعل	النعومة

مع مكونات الجدول

إن أول ما يلاحظه المتتبع لمكونات هذا الجدول إن جل الأفعال التي وردت فيه جاءت في الزمن وجاءت مفتوحة العين وفي ذلك دالتان: الأولى أن زمن الحديث مطلق ممتد ضارب في القدم وأن هذه الأفعال جاءت كلها مفتوحة العين ومعلوم أن لحركة العين عند اللغويين دلالة تختلف باختلاف موقع اللفظة في الأداء فمن دلالة الفتحة عند الصرفيين أنها علامة (حياد) فاصلة بين الضمة المستعلية الدالة على الثبات والكسرة المستقلة الدالة على التغير¹. ومن دلالتها عند النحويين أنها علامة حياد أيضا، في مقابل الضمة الدالة على الإسناد، والكسرة الدالة على الإضافة² وفي الحاليين، تكون الفتحة دالة على الحياد والانفتاح، بما في ذلك من سعة وانسراح.

والذي يهمنا من ذلك، هو ما يترتب عن ذلك من متعة واتساع أفق، ما يؤول إليه حال المستمع من زوال كرب وانفراج غم، وراحة بال. كما تدل صيغة فعل (بفتح العين) التحرك والتبدل، وتتميز كمياتها بالخفة والرشاقة، وجميع ذلك يجلب المتعة ويخلق الأنس ويبعث في النفس حيوية ونشاطا واختلاق الأنس والانصراف عن الكلل والملل.

1 - شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، ج،1، ص، 250.

2 - في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص.7.

إن الأفعال الماضية في كتاب الإمتاع والمؤانسة حركية حيوية خلاقة، تناسب مختلف الأحاديث، والحوار بها متلون متغير غير ثابت، منتقل من خلية إلى أخرى كانتقال النحلة بين الورود والزهور ومن ثمة يمكن أن نصف مجالس أبي حيان ولياليه بمملكة النحل وخلاياه، فيها رحيق الأزهار وحلاوة الأذواق، وشفاء النفوس، فيها أخيرا استئناس واستمتاع.

أحاديث المستقبل

المستقبل يسميه اللغويون مضارعا، (وأصل المضارعة تقابل الخلين على ضرع الشاة عند الرضاع)¹ وما يستفاد من هذا أن في المضارع تقابلا وتشابها وتوأمة، ومن هنا فيه إيجاء بما يراد من استحضاره من غير ما هو واقع، وهذا يضارع ذاك، أي يتقاسمه الضرع عند الرضاعة، ويستفاد من هذا في صيغة المضارع وحي بالمشاركة والمواساة وتقاسم المتاعب والأعباء.

وإذا كانت الأعباء والأتعاب يتقاسمها الأعباء متعاونين متعاضدين بما يملكونه من وسائل، فقد استعان أبو حيان في الحديث عن حوادث المستقبل بأدوات تنوعت بتنوع الموقف والحالات، كاقترانه باللام الناهية والجازمة، كقوله: لا تقبله، لا يسلط، لا يستدعي، لا

أصل، لا يخطئ، لا يلحن، لا يقبل، لا أتعلم، ولم يطاوع، لم تنبس، لم تنطق؛ ومعظم هذه الصيغ الحديثة وردت في الليلة السادسة. ونحمل أهمها في الجدول الآتي:

جدول الأفعال المستقبلية المؤنسة

الفاعل	الوزن	الدلالة
ينفع	يفعل	الإفادة النافعة
يعجب	يفعل	الاندهاش والاستغراب
يشوق	يفعل	الشوق والحنين
يضحك	يفعل	الإضحاك والاسترخاء
تروّح	تفعل	الترويح

مع مكونات الجدول

لقد دلت مجمل الصيغ الوارد ذكرها في ليالي أبي حيان — مما اخترناه — على الإفادة والمنفعة والاندھاش، والشوق والحنين والضحك والاسترخاء والترويح عن النفس. وهذا بعض من كل، وقليل من كثير مما ورد من أفعال الاستقبال عند أبي حيان. وإذا كان في الماضي تذكُّرٌ، ففي المضارع توقُّعٌ؛ وبين ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل يقضي الإنسان حياته متذكرا متعظا، ومتوقعا متدبرا.

ونشير هنا إلى أن شيوخ الماضي وغلبته على ما سواه من الأفعال دليل على أن أبا حيان استحضر حوادث من الماضي يتذكرها في الليالي التي جمعتها بالوزير، وفي الوقت ذاته حليفه الزمن الذي مضى، وأما المضارع الذي قل عدده وذكره، فهو حاضر صاحب هذه الليالي عدده قلة مآل صاحب الليالي. وبين هذا وذاك واقع حقيقي سماه اللغويون (فعل الأمر).

متعة الأساليب

الأمر في مفهومه العام هو صيغة تكليف وإلزام، وينطوي تحتها صيغتا الطلب والدعاء. ومن حيث التركيب والمكونات هو قسمان أيضا: أمر بالصيغة وأمر باللام، وفي مجال الدراسة اللغوية هو كل فعل (دال على طلب حصول الشيء في المستقبل)¹، سواء كان بالصيغة أم باللام، (والأصل في الأمر أن يكون على سبيل الاستعلاء، أي أن يصدر من أعلى إلى أدنى، وقد يخرج عن ذلك لغرض بلاغي يقتضيه

السياق"¹". وخلافه الطلب والدعاء، ولكل مقام مقال، فإن كان الخطاب موجها من أعلى إلى أسفل، كان أمرا، وإن كن موجها من أسفل إلى أعلى، في مستوى بشري، كان طلبا، وإن كان غير بشري كان طلبا أودعاء، أو هما معا.

وقد وظف أبو حيان في لياليه مختلف الصيغ، مراعيًا مناسبات الأداء، مما يتناسب مع طبيعة الليالي التي أجاب فيها عما طلبه منه الوزير، أو أمره بالحديث عنه، فقد كان الوزير، هو الذي يختار موضوع الحديث ومجاله وانطلاقه كقوله: (حدثني، هات شيئا من الغزل، صف هذا؛ وذلك) وفي ختام الجلسة يطلب منه أو يأمره قائلا: (هات ملححة المجلس)² والملححة والأملوحة الطيب، جمعها ملح وهو يتملح ويتظرف³

إن ما لوحظ في أساليب بعض ليالي الإمتاع والمؤانسة مما قمنا بدراسته أن الأمر استعمل لطلب القيام بالفعل على وجه الإلزام، كقول الوزير لأبي حيان (ارو لي، اسقني...) وكقوله أيضا: (أجزم، أفصل...) وهي أفعال تدل على أن المتحدث ينفذ أوامر المتحدث إليه، وهو الأعلى منه رتبة ومكانة وهو الوزير، ولكنه كان يراعي آداب الجلسة فكان أسلوبه طليبا وكان يتلقاه أبو حيان على أنه أمر ملزم.

1 — نفسه. ص 12.

2 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج، 3 ص، 198.

3- الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها، أحمد محمد الحوفي، ص 250، مط، لهضة مصر،

للطباعة والنشر والتوزيع، ط، 2001

لقد تردّد كثيرا الفعل قل: الذي يدل على الحديث والكلام،
والفعل (أجب) ولم يقتصر أسلوب المحادثة على القول المباشر أو الجواب
المحدد، وإنما شمل جوانب من الشعر كقول الوزير لأبي حيان: (أنشدني
شيئا نختم به المجلس)¹. وكان من أبي حيان أن لبي مطلب الأمر، لأن
الأمر هنا أعلى من المأمور، ومن هذا القبيل أيضا قول الوزير (اجمع لي
حروفا نظائر لهذا من اللغة واشرح ما يندر منها)² وقد كان هدف
الوزير — فيما يبدو — هو التعلم وحب الاطلاع والتثقيف. ونجمع
بعض أفعال الأمر الواردة في ليالي أبي حيان في الجدول الآتي.

دلالة الإمتاع في الأفعال الأمرية

الفاعل	الوزن	الدلالة
صيف	فَعَلَ	الوصف
خفّف	فَعَّلَ	الترويح
أنثُر	فَعَلَ	الإكثار من التأنيس
حدّث	فَعَّلَ	المحادثة والحوارية
ارو	فَعَلَ	الحكي والأنس
اسق	فَعَلَ	الارتواء
انشد	فَعَلَ	التغني المؤنس
قل	فَعَلَ	القول والحديث

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج، 1، ص، 222

2 - نفسه، ج، 2، ص، 03.

مع مكونات الجدول

هذه أفعال أمرية ثمانية، اخترناها كعينات من الصيغ التي وظفها أبو حيان وتدل في مجموعها على التوصيف بالتحفيف على النفس والترويح، والحديث الحوارى، والحكاية المؤنسة والارتواء من الظماً، والإنشاد والتغني، ثم القول النافع الممتع المؤنس الذي يعد كمغلاق لدوائر التواصل في حلقات الجلسة. وفي هذه الحوادث والأحداث، كانت ذوات تحرك الحوار وتتحرك فيه، وكانت الذوات هي المبتغى والغاية من جميع الليالي وجلساتها.

دلالة الذوات في ليالي التوحيدى

الصيغة الذاتية

الذوات هي الموجودات المادية والمعنوية المدركة بالحواس، أو العقل كالإنسان والحيوان والذات، وقد لقي الاسم اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين اللغويين، واختلف الكوفيون مع البصريين في علاقة الاسم بمسماه فقال الكوفيون هو (مشتق من الوسم، لأن الوسم في اللغة هو العلامة، وذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق من السمو)¹ ويظهر من اختلاف آراء المدرستين أن الكوفيين ينهجون منهجاً مادياً، في حين ينحو البصريون منحى عقلياً، للاسم (علامة مادية عند الكوفيين وعلامة

1 - الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين و الكوفيين، ج، 1، ص، 6، أبو البركات الأنبارى، إعداد محمد محى الدين عبد الحميد، مط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط، 1، د.ت.

عقلية عند البصريين) وهناك تعاريف أخرى نقف دون ذكرها لعدم الحاجة إليها.

ومما اختلف فيه الدارسون، أسبقية الاسم والفعل فذهب فريق إلى (أن الاسم هو الأصل، ويستغني عن الفعل، والفعل فرع عليه، ومفتقر إليه كان الاسم مقدما عليه)¹ وفي هذا وجهات نظر وذلك إذا كان الفعل نتيجة وجود فاعل وعمله في إيجاده، فإن الاسم هو نتيجة عمل — نتيجة فعل — ومن ثم يصعب القول بالأولوية.

وقد ذكر (العكبري) تعاريف متعددة للاسم منها: (الاسم ما استحق الإعراب في أول وضعه، وقال آخرون: ما استحق التنوين في أصل وضعه)² والمقصود هنا، هو أن من علامات الاسم الإعراب في أول وضعه والتنوين في أصل وضعه علما أن هذا التعريف لم يورد كل علامات الاسم بل بعضها فقط. وما يهمنا من هذا قوله (علامة الإعراب والتنوين في أول وضعه) وهو ما نقف عنده حينما تدعو الحاجة إليه.

ويؤكد كثير من اللغويين على أن الأسماء باقية رغم زوال الذوات كل شيء موجود هو موجود باسم، كما أنه كان يعتقد أن المعدوم هو

1 - الإيضاح في علل النحو، ص84، الزجاجي، تحقيق مازن مبارك، ط، 2، بيروت،

لبنان، 1973

2 - التبيين عن مذاهب النحويين والبصريين والكوفيين، ص، 121.

كذلك ليس له اسم¹ والموجودات أنواع قال فيها نصر الدين التوسي (للشيء وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في العبارة، ووجود في الكتابة، والكتابة تدل على العبارة، وهي على المعنى الذهني، وهما دلالتان وضعيتان تختلفان باختلاف الأوضاع)² وفي هذا النص إشارة إلى مختلف العلاقات القائمة بين الاسم والمسمى وأنه ليس مجرد علامة يعرف بها المنسوبة عليه وإنما هو فكر وتفكير.

ومما ينبغي مراعاته في هذا الموقف أن لاعلاقة للاسم باسمه. لأن الذي يختار الاسم ليس هو المسمى وإنما هو المسمى الشرعي للمسمى. وأن للاسم خلفيات عند من يختاره وقد جمع هذه الحالات ابن مالك في باب العلم من ألفيته وحصرها في عشرة أصناف³

ومما نقف عنده ونقره في هذا المجال أننا لانعرف عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — بذاته، وأن من يتسمى به يتخذ تصورا خاصا عند ندائه. ولا نعرف موسى ولا عيسى صلوات الله عليهما بالذات، وإنما نعرفهما وغيرهما من الأنبياء والمرسلين بالأسماء.

التأنيث والتذكير

1 - اللسان والإنسان، حسن ظاظا، ص 72.

2 - الإشارات والتنبيهات، أبو علي بن سناء، ج، 1، ص، 180. هامش، 3/1.

3- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، ص، 17، إعداد وتعليق عبد الحميد رشواني، دمشق،

ط، 1، 1996.

يدور الحديث غالبا في كل مناسبة حول اثنين: ذكور وإناث. وفي تراثنا العربي يغلب توظيف الذكور وتغليبهم عن الإناث، مما يمكن أن يوصف مجتمعنا بأنه ذكوري. وهذا امتداد للتصور العربي للجنس الأنثوي في المجتمع العربي.

وفي مجال الدراسة اللغوية العربية يظهر تغليب التذكير على التأنيث فالمذكر هو الأصل (والأصل في الأسماء التذكير والتأنيث على التذكير)¹ ومن هذه النظرة كان الحديث عن التأنيث بعد التذكير غالبا، وكان المؤنث أقل من المذكر، ودونه ذكرا وعناية من حيث الوظيفة الاجتماعية، وكان المؤنث ممنوعا من الصرف، لا يقبل التنوين ولا يجز بالكسرة فكان كالأعجمي الأجنبي عن المجتمع العربي.

ومن هذه النظرة سوف لانجد أبا حيان يجيد عما تعارف عليه العرب واتفقوا عليه، و سوف لا نجد للمؤنث مكانة ومكانا في لياليه، مع أن المتعة والأنس هما من صنيع التأنيث، ولكن جلسات أبي حيان هي غير جلسات اللهو والطرب والمجون؛ وإنما هي جلسات العقلاء المفكرين المتدبرين، ويمكن القول: كانت لرجال الدولة أنواع من المجالس؛ منها جلسات طرب وغناء، وفيها تكثر القيان والجواري وتصدر أصوات المغنيات والراقصات وترتفع أسماؤهن، ومنها جلسات العلم والأدب، وفيها تعلق أسماء الذكور غالبا، ومنها جلسات التخطيط والتدبير وفيها تغلب أسماء القادة والأبطال.

1 - الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، ج، 2، ص، 148.

ومن تتبع الأسماء التي وردت في ليالي أبي حيان يظهر أن جلساته تميزت بطابعي الجد والوقار، كان فيها علم رفيع وفن صاف وحديث نقي، كانت فيها رفعة وترفع، كان الكلام فيها يوزن قبل أن يلقي، ويحاسب الملقى عما ألقى، وكل ما ظهر من أسماء الإناث والتأنيث بشقيه اللفظي والمعنوي قليل، ومعظم ما جاء منه كان لأسماء غير أنسية إلا ما ندر. وخلاصة الملاحظة أن ليالي الأنس خلت من أنس الأوانس. ومما جاء فيها هي هذه الأسماء: (نرجس، سندس، دنيا، نعمة، ياقوت، سكيئة، قريجة، تفاحة، منارة) ومع قلتها فهي أسماء تبعث الراحة في النفس والنشوة في المجلس.

وقد تنبه الوزير إلى خلو مجلسه من جنس الإناث فأثار هذه القضية في الليلة الرابعة والثلاثين — بعد فوات الأوان — فقال الوزير لأبي حيان: (قد شرف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عز وجل: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور فقالت: في هذا نظر فقال ماهو؟ قلت قدم الإناث، ولكن نكر وأخر الذكور وعرف، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم، ثم قال هذا حسن، قلت: ولم يدرك هذا أيضا حتى قال أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، فجمع الجنسيتين بالتنكير مع تقديم الذكور، فقال هذا مستوفى)¹ وقوله: هذا، يدل على أن أبا حيان كان مقتدرا بأسلوبه وعلمه على الإقناع.

ومن أدلة ذلك، أن أبا حيان قال: (فجمع الجنس بالتركيب) وهنا مغالطة وهي: أن الحديث عن الجنس لا يعني الحديث عن الأفراد، وأن الجنس هو مجموعة من الأفراد، والفرد عنصر من عناصر الجنس، وأن التأنيث من علاماته وخصائصه أنه لا يقبل التنوين، والمنون هنا هو الجنس ومن ميزات تنوينه، هو موازاة القمم الصوتية، وتساويها.

وقد ورد غير المنصرف مصروفاً في القرآن الكريم لتحقيق هذه الميزة؛ كقوله تعالى (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا)¹ فجاءت سلاسل منونة، بينما هي على وزن مفاعل الممنوع من الصرف؛ وفيها علتان مانعتان من الصرف هما: التأنيث والوزن. ومع ذلك جاءت مصروفة لتساوي قمم الزوايا الصوتية عند الأداء، وليكون لها وقع وتأثير على المتلقي.

ومن أنواع التنوين ووظائفه أنه يفيد التمكين، والمؤنث في الثقافة العربية دون التمكين أي ليس متمكناً من التصرف في جميع حاجاته ومن ثم لا يقبل التنوين لئلا يصير متمكناً، ويلتقي الاسم المؤنث والاسم الأعجمي غير العربي في عدم قبول التنوين. والتأنيث الذي جاء به الوزير وحلله أبو حيان بحدق ومهارة وحسن تخلص، يعد أسلوباً من أساليب المتعة والأنس، وميزة من ميزات أبي حيان، والجنس عدد وعنده نقف في إيجاز.

منتقيات التعبير

العدد مفهوم حسابي عملي، منه التجريدي ومنه التجريبي، والأصل فيه التجريد إلى أن يقترن بمعدود يحدد موقعه في المعاملات؛ وقادنا الحديث عن العدد لما سبق ذكره من أنواع الأسماء والأفعال، وهو مساق منهجي؛ وكنا أشرنا من قبل إلى أن أبا حيان اتفق مع الوزير أن يعفى من أساليب التعظيم، وأن يستعمل الأفراد بدل الجمع، ولكن هناك حالات لا بد من ذكرها جمعا كالليالي مثلا، أو ما يتحدث عنه من جموع. في مثل قوله (الأشراف، والأرياف والأسواق والحكام، والعجم، والقبائل، والحكماء، والعيون، والكتب) أو مما لامفرد له من جمعه في مثل: (الناس).

والملاحظ، أن هذه الجموع كلها جمعت جمع تكسير، وهو التركيب قليل المكونات، والخفيف في النطق وعلى السمع. ويلاحظ في أساليب أبي حيان الممتعة، شيء يشبه الخلط والتداخل في المعاني والمفاهيم، وقد ارتأينا أن نفتح لها موضعا في جلساته تحت عنوان المشترك.

تعانق الألفاظ والمعاني

المشترك مفهوم لغوي عام، من معانيه تداخل المباني واختلاط المعاني، وقد عبر عنه سيبويه في ثلاث عناوين، أولها باب اللفظ للمعاني¹ وثانيها باب ما يكون في اللفظ من الأعراس² وثالثها باب الاستقامة

1 - الكتاب، ج، 1، ص، 24 سيبويه

2 - نفسه، ص، س.

من الكلام والإحالة¹ وجميعها تدور حول علاقة اللفظ بالمعنى. وقد سماه ابن جني من بعد سيبويه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)²، ومن أسمائه عند غير هؤلاء (الاشتراك والترادف والتضاد) وفيها يدور الحديث حول مجالات تلاقي الألفاظ والمعاني ويمكن أن نجمع هذه المفاهيم والمصطلحات تحت عنوان التكافؤ.

التكافؤ والتكامل

عينا بهذا المنطوق، مراعاة مبدأ التعاون والتآلف والتكامل والتنويع بين اللفظ والمعنى، وقلنا بهذا تجنبنا للوقوع في ما اختلف فيه القدماء والمحدثون من أسماء هذا التلوين اللفظي. ولعل أول من تنبه إليه سيبويه بقوله (اعلم أن أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف)³ ومن تتبع حركات الباحثين في هذا المجال نجد أن كثيرا من اللغويين قدماء ومحدثين بحثوا (في المشترك اللفظي في اللغة وخلصوا إلى نتائج إيجابية وأخرى سلبية، ثم اقترحوا بعض الطرق للتخلص من تلك الآثار السلبية)⁴ ونحن نقف عند الجانب الإيجابي منها.

1 - نفسه، ص، 25.

2 - الخصائص، ج. 2، ص، 145 ابن جني.

3 - الكتاب، سيبويه، ج، 1، ص، 24.

4 - الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، ص، 50، محمد نور الدين

المنجد، مط، دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط، 1، 1999م.

كان أبو حيان يجي ليالي متميزة متنوعة خاصة لخواص، وكان عليه أن يختار ويتخير من الألفاظ والمعاني ما يتلاءم ومستوى الحضور، وكان عليه أن يظهر جانبا من سعة معلوماته، ومن ثم كان له أن يستعمل من الألفاظ ما يثير الانتباه والاهتمام.

ويتحدث أبو حيان في موضع آخر، عن الرجاء والخوف، ثم عن الشجاعة والجبين، فيصنفهما بأتهما (خلقان متصلان بالخلق، ولذلك فإن الجبان يتعذر عليه أن يصير شجاعا ويعز على الشجاع أن يتحول إلى جبان)¹ ثم يجمع بعض الصفات والخصال في مسرد من الحديث يقوم بالفصل بينها كالسخاء والكرم، ومدح الغير؛ ويقابل البخل بالذم والتوبيخ)² وجميعها مفردات متقاربة المعاني متباعدة مكونات المباني.

ومن حسن توظيفه للمفردات، قوله: — مثلا — (يتعذر على الجبان أن يصير شجاعا، ويعز على الشجاع أن يتحول إلى جبان) فقد مزج بين الضدين وزاوج بين التركيبين، يتعذر على الجبان ويعز على الشجاع، الجبان يصير والشجاع يتحول؛ وفي توظيف هذه المفردات واختيار مواقعها متعة وراحة واستئناس.

وفي الليلة السابعة والثلاثين يأتي بالمتضادات اللفظية في ما يناهز العشرين في مثل (العقل - الحمق، والعلم - الجهل، والحلم - السخف،

1 - الإمتاع و المؤانسة، ج، 3، ص، 151 ط. بيروت.

2 - الإمتاع و المؤانسة، ج، 3، ص، 151.

والقناعة- الشره،..¹" وإنها ليلة زاخرة بمتقاربات المعاني في مختلف المباني، ونرى في هذا التقارب اللفظي، تقاربا فكريا وثقافيا بين جلساء أبي حيان.

هذه حال توظيف أبي حيان للمفردات المتقاربة لفظا أو معنى وقد أدرجها في سلاسل ومجموعات منتظمة لافتة للنظر، وفيها أظهر مقدرته على الاختيار وحسن التنظيم والتوظيف.

والتنوع يقود إلى الحديث عن العدد، ومما نقصد بالعدد دراسة الأسماء من حيث الأفراد والتثنية والجمع، في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ولاحظت شيوع المفرد وضآلة الجمع، والمشى، باعتبار أن الليالي الواردة بنيت جلها على أسلوب المحادثة، والحوار.

ونقصد بالعدد هنا دراسة الأسماء من حيث الأفراد والتثنية والجمع، ومن بين الصيغ الذاتية المفردة الواردة في الإمتاع والمؤانسة: (الخير، عيسى، ليلة، الإنسان، يحيى، الوزير، النفس، أبو، ابن، الهلالي، المصباح، البحر، الشمس، الجنة...).

الجنس

وفي الليلة الرابعة والثلاثين، تحدث أبو حيان التوحيدي مع الوزير عن المؤنث والمذكّر، فقال الوزير: قد شرف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عزّ وجل: (يهب لمن يشاء إناث ويهب لمن يشاء الذكور) فقلت: في هذا نظر، فقال: ما هو؟ قلت: قدّم الإناث ولكن نكّر، وأخّر الذكور ولكن عرّف، والتعريف بالتأخير أشرف من التّكرة بالتقديم، ثم قال: هذا حسن، قلت: ولم يدرك هذا أيضا، حتى قال: (أو..، يزوّجهم ذكرانا وإناثا)، فجمع الجنسيتين، بالتنكير مع تقديم الذكران، فقال: هذا مستوفى¹. ونستلهم من خلال هذا الحديث الذي دار بين أبي حيان التوحيدي والوزير دلالة التقديم والتأخير والتنكير والتعريف وتعادل الإناث مع الذكور.

الجمع

الجمع في المفهوم العام هو ما زاد عن اثنين، وقد أقره بعض الأصوليين في اثنين² وفي العموم هو ما زاد عن واحد (كالجمع بين الذكر والأنثى في عقد الزواج)، وفي مجال الدراسة اللغوية العربية هو ما زاد عن اثنين، وينقسم الجمع في مجال الدراسة اللغوية إلى قسمين، جمع مذكر وجمع مؤنث ثم ينقسم كل منهما إلى قسمين، جمع سالم وجمع تكسير.

1 — الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج 3، ص 101.

2 - ينظر تفصيل هذا القول في الإشارات في أصول الفقه المالكي، ابن خلف الباجي،

ص، 60 مط، تقديم، محمد الشريف الرحموني، مط، دار ابن حزم، ط، 1، 2000م

ويتميز جمع المذكر السالم بزيادة واو ونون، أو ياء ونون عن مفرده، كجمع لفظة معلم على (معلمين ومعلمون)، في حين يتميز جمع المؤنث السالم بزيادة ألف وتاء على مفرده، في مثل (معلمات) التي مفردها معلمة، ومن هنا يظهر أن لا تلاقي — من حيث الشكل — بين جمعي الذكور والإناث في حالة السالم.

أما جمع التكسير فهو يتميز بأنه يقل عن السالم في عدد مكوناته، كما يتميز بعدم الاطراد في التقييد، وقد جمع بعض الدارسين ظواهره في قوله: جمع التكسير (هو ما تغير بناء مفرده بزيادة أو نقص أو تبديل شكل أو بهما أو بالجميع).¹ وليس لجمع المؤنث المكسر قاعدة تضبطه، وسيظهر عند الحديث عن درجات شيوع هذه الجموع مقاصدها وخلفيات توظيفها.

إنّ الغالب في كتاب الإمتاع والمؤانسة، هو جمع التكسير المتناسب مع التغيير السائد في كل ليلة من ليالي التوحيد، لتحقيق (الخفة المؤدية إلى الاستئناس، ومن أمثلة الجمع المكسر في الإمتاع والمؤانسة (الأشراف) وقد لحقته الزيادة، وأصابه التغيير؛ وكذلك وردت أمثلة أخرى مثل: (الأرياف، الأسواق، حكام، العجم، القبائل، الحكماء،

1 - التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، ص، 73 مط، دار

الإمام مالك، طبعة منسوخة، 2002م

عيون، كتب، الناس...) وكلّ هذه الصيغ المذكورة تتميز بتغيير في الشكل مع الزيادة أو النقصان.

تداخل وتفاعل

اللغة مجموعة من التنظيمات العقلية والتشكيلات الصوتية المتداخلة بعضها المتكاملة مع بعضها في تأدية المعنى والدلالة؛ وهي في ذلك، مستويات ومجالات وموضوعات¹ ويتعذر أحيانا لإقامة الفواصل بين تلك الظواهر، وقد اجتمعت تحت مفاهيم ومصطلحات، كالاتسراك والترادف والتضاد. ولهذه الظواهر وظائف نوعية وتنوعية يدركها المختصون وكان لأبي حيان فيها جولات ولنا معه فيها وقفات.

1 - ينظر هندسة المستويات اللسانية في الآثار العربية، مكّي درار، ص، 03، مخطوط

الفصل الثاني دلالة الأَنس في التراكيب

مع المفاهيم

يعد هذا العنوان معبرا عن نفسه بنفسه، فهو شكل مركب من عدة عناصر أساسية، فهو مجموعة من المفردات، تلاحقت ببعضها، وتعاونت جميعها بما يحمله كل عنصر منها من معنى إفرادي، لتندمج في مبنى تركيبى، يقود المتعامل معه إلى شيء جديد، يسمى التركيب وفي كل تركيب دلالة.

ويدل المفهوم اللغوي للتركيب، على أن شيئا ما، تم وضعه فوق غيره، مع أنه هنا يدل على وضع شيء في محاذة غيره. وفي تحديد مفهوم التركيب قال ابن فارس (الراء والكاف والباء أصل واحد مطرد منقاس، وهو علو شيء شيئا)¹ ويستعرض أمثلة لهذه الصيغة، ولكنه لا يقدمها في بناء (تركيب)، ويظهر أن صاحب النص تحدث عن صيغة (فعل) من الثلاثي الجرد؛ دون المزيد لأنه يهتم بالأصول، ويظهر أنه لا يعترف بأصالة الرباعي،² على ما قال به الصرفيون.

1 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج، 2، ص، 432.

2 - أصل الفعل عند الصرفيين نوعان: ثلاثي مجرد، ورباعي مجرد، ومثلوا للرباعي بصيغة (أفعل في مثل: أكرم، وفعل في مثل دحرج) ولنا على هذا تحفظ أوضحناه في كتابنا: هندسة المستويات اللسانية

وتحدث ابن منظور عن هذه الصيغة مجردة ومزيدة ومضعفة، وفي المضعفة قال (والتركيب يكون اسما للمركب في الشيء، كالفص يركب في كفة الخاتم لأن المفعَل والمُفَعَّل كل يرد إلى فاعيل. وثوب مجدد جديد، ورجل مطلق طليق، وشيء حسن التركيب)¹ ولكن المفهوم من كلام ابن منظور، هو وضع الشيء فوق بعضه. يظهر ذلك في قوله (كالفص يركب في كفة الخاتم) وهو يعني وضع شيء فوق شيء.

ويقودنا هذا الحديث إلى شيء جديد وهو أن التركيب اللغوي نوعان: شيء فوق بشيء، وشيء بجانب شيء. والثاني أقرب إلى مجال الدراسة، ويسمى التركيب المتلاحق العناصر في تجاوز وانتظام وانسجام (جملة) والجملة ينظر إليها في مجال الدراسة من ثلاثة جوانب: مفهوم وتشكيل ودلالة.

مفهوم الجملة

يفهم مما قيل في التركيب إنه تقديم لمفهوم الجملة، من حيث هي تركيب متآلف متلاحق الأجزاء، في تجاور وانسجام وانتظام. وهذا من حيث المفهوم اللغوي العام، أما إذا نظرنا إلى الجملة من جانب التأصيل، وجدنا لابن فارس فيها قولاً جاء فيه: (الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حسن)¹ ونحن نفيد من التعريفين معاً. نفيد من الأول، معنى (التجمع) ومن الثاني (الحسن) مع أننا لا نقر بوجود أصلين للشيء الواحد.

ولم تزد أشهر المعاجم اللغوية القديمة على ما قال به أبو علي الفارسي، إلا توضيحات وتفاسير كقول ابن منظور: (والجملة واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرق، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء، بكماله من الحساب وغيره)² ولا يفهم من هذا كله، ماهية الجملة اللغوية. هذا من حيث المفهوم أما شكل الجملة من حيث مكوناتها وعناصرها، فذاك غير جميع ما سبق.

مكونات الجملة

الحديث عن مكونات الجملة، هو الحديث عنها نفسها، وذلك لأن الجملة هي مجموعة من العناصر الأصلية الحاملة لمعان أصلية وهي مستقلة عن بعضها. وتاريخ الحديث عن الجملة في آثار الدارسين العرب غير محدد المعالم،

1 - معجم مقاييس اللغة، أبو علي الفارسي، ج، 1، ص، 481، مادة "جمل" تحقيق عبد السلام

محمد هارون، مط، دار الفكر، ط، 1، 1979م

2 - لسان العرب، ابن منظور، ج، 11، ص، 128، ع، 1، س، 2، مط، دار صادر بيروت .

وتقترب من الاتفاق على أن ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة 761 هجرية هو أول من فصل القول فيها.

وقد وجدنا له حديثا عنها في الباب الثاني مطلع القسم الثاني من كتابه مغني اللبيب، تحت عنوان تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها جاء فيه: (والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، ك، قام زيد. والمبتدأ وخبره، ك، زيد قائم. وما كان بمتزلة أحدهما نحو: ضُرب اللص، وأقام الزيدان. وكان زيد قائما. وظننته قائما)¹ ومن بعد هذا التعريف والتقسيم الأولي العام، بالوصف والتمثيل، انتقل إلى تقسيمها من حيث البناء وجعلها ثلاثة بقوله: (انقسام الجملة إلى اسمية، وفعلية، وظرفية)² وإذا ما حاولنا حصر مجال مفهومه في تقسم الجملة وجدناه يقوم على ما في صدر الجملة كقوله: (الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم، زيد قائم، والفعلية هي التي صدرها فعل، كقام زيد. والظرفية هي المصدرية بظرف أو مجرور نحو أعندك زيدٌ؟ وفي الدار زيدٌ)³ مع تحفظه على الجملة المصدرية باسم الفعل في مثل: هيهات. وفي الجرورة في مثل: في الدار زيد⁴ وفي جميع الأمثلة اعتمد صدارة التركيب أساسا للتقسيم.

1 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، ج، 2، ص، 490. تحقيق،

مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، ط، 1، 1972م

2 - نفسه. ج، 2، ص، 492.

3 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، ج، 2، ص، 492.

4 - ينظر تفصيل القول في هذا التحفظ، في مغني اللبيب، ق، 2، ص، 492.

وحاولنا العثور على تقسيم غير هذا عند اللغويين، فوجدنا معظمهم على ما قال به ابن هشام، من حيث التقسيم. أما من حيث الأسبقية في الحديث عن الجملة فوجدنا عند أبي الوليد بن رشد المتوفى سنة 595 هجرية في كتابه المسمى (الضروري في صناعة النحو) حديثاً عن الجملة من حيث قوانينها وإعرابها وتقسيمها إلى بسيطة ومركبة¹ وهذا يعارض من قال بأسبقية ابن هشام في الحديث عن الجملة. كما أن هناك كتاباً بعنوان الجمل لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة (337 هج) انطلق في حديثه من الحديث عن أقسام الكلام، وجعله ثلاثة². وهو صنيع ابن هشام. ونحن إذ نقف عند هذه الأقوال والآراء، فإنما ذلك، لنجعل المتتبع لهذا العمل في الصورة الحقيقية، قبل أن نبدي برأينا في الموضوع.

ومن بعد هذا نقول إذا قسمنا الجمل بحسب بداياتها، فينبغي أن تراعى نهاياتها كذلك، وإذا فعلنا ذلك، تغير العدد وتبدل المعدود. وارتفع الحساب من ثلاثة إلى أكثر منه بكثير، وفي توضيح توجهنا نقول:

إذا كان عدد الجمل يتحدد من النظر إلى بداياتها فإنها ليست ثلاثاً وإنما هي أربع، فما تصدرها اسم كانت اسمية وما تصدرها فعل كانت فعلية، وتبقى الظرفية، ويمكن أن تنقسم قسمين أيضاً ظرفية زمانية وظرفية

1 - ينظر الضروري في صناعة النحو، القسم الثاني، ص، 76 القاضي أبو الوليد بن رشد. 62 وما بعدها، تحقيق ودراسة، منصور علي عبد السميع، تقديم محمد إبراهيم عبادة، مط، دار الفكر العربي، ط، 1.

2 - ينظر في هذا: كتاب الجمل، للزجاجي، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، مط، جول كربونل الجزائر، ط، 1، 1926م

مكانية، وإذا قبلنا بظرف واحد، بقيت الجملة التي تتصدرها الأداة وتسمى الحرفية. ومن هنا يتغير العدد والمعدود.

ونحن إن قبلنا بهذا التقسيم للجملة بحب بداياتها، بقي أن نقول وما حال النهايات. وإذا كانت البدايات أربعا، كانت النهايات مثلها. وكان لكل بداية أربع نهايات، ويرتفع العدد التوقعي الاحتمالي من أربع تشكيلات إلى ستة عشر شكلا¹ محتملا. هذا حديث التركيب والجملة من حيث المفهوم العام، ونجد للجملة تعريفات عديدة في المعاجم العربية وما قدمناه للجملة منها هو جزء من كل.

وما قدمناه من حديث الجملة العربية هو جزء من كل، يعود في معظمه إلى جانب التعريف دون التقسيم، وإذا كان ما تقدم حديث تعريف فيبقى للتقسيم نصيبه.

أقسام الجملة العربية

التقسيم هو تجزئة الكل، بحيث تصبح الوحدة الرئيسة وحدات صغرى. وكل وحدة من الوحدات الصغرى يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر منها متساوية أو غير متساوية، ومن ثم، لا يراعى في التقسيم التساوي وإنما يراعى فيه المطالب كتقسيم التراكات والأسهم، ومن هذه النظرة ينطلق مفهوم التقسيم اللغوي وبخاصة تقسيم الجملة العربية في التفكير العربي.

1 - للتوسع في هذه الفكرة ينظر: هندسة المستويات اللسانية من المصادر العربية. ص، 68 مخطوط. مكي درار.

ولتقسيم الجملة العربية في التراث العربي نظرتان واحدة تدور حول المكونات
والثانية حول مراتب المكونات.

ومن أصحاب النظرة الأولى محمد سمير نجيب اللبدي الذي جعل الجملة
العربية ثلاثة أقسام: (فعلية واسمية وظرفية؛ فالفعلية ما ابتدأت بفعل تام
أوناقص، نحو: لعب التلميذ، أو كسر الزجاج، وكان الطقس بارداً، والاسمية
ما صدرت باسم نحو: زيد ناجح، وهيئات العفيف، والظرفية ما صدرت
بظرف نحو: أعندك علي؟ أو مجرور مثل: أفي الدرج كتاب؟)¹

وقد كانت أقسام الجملة عند الزمخشري² أربعة أقسام هي: الثلاثة
السابقة، مضاف إليها الجملة الشرطية، كما قسم اللبدي الجملة الاسمية باعتبار
خبرها إلى: (جملة كبرى؛ وهي ما كان الخبر فيها جملة نحو: محمد قام أبوه،
ومحمد أبوه قائم، وجملة صغرى؛ وهي الجملة التي بنيت على المبتدأ نحو: قام
أبوه في الأولى، وأبوه قائم في الثانية، كما تنقسم الجملة الكبرى إلى قسمين
آخرين هما: جملة كبرى ذات وجهين وهي الجملة التي يكون صدرها
وعجزها فعلاً نحو: زيد يقوم أبوه، وجملة ذات وجه واحد وهي الجملة التي
يكون صدرها اسماً وعجزها فعلاً نحو: محمد أبوه قائم)³ وأوضح مختار

1- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص 53.

2- هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد جار الله الزمخشري (ت 538 هج)، يُراجع
مقدمة الزمخشري لغوياً ومفسراً.

3- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص 53.

بوعناني أنّ (الجمل تُقسّم؛ باعتبار الإعراب إلى جمل لها محل من الإعراب
وجمل لا محل لها من الإعراب)¹

مراتب المكونات

وقد أكّد اللّغويون أنّ التّقديم والتّأخير في بناء الجملة؛ يُؤدّيان وظيفة
إيصال المعنى وتوضيحه، منهم عبد القادر الجرجاني الذي أدرك وظيفة التّقديم
والتّأخير بقوله: (هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد
الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى
شعراً يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك
ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)².

إنّ تقديم الشيء يأتي على صيغتين: إحداهما ما أطلق عليه عبد القاهر
الجرجاني التّقديم على نيّة التّأخير، كتقديم الخبر على نيّة المبتدأ، والمفعول
المنصوب على الفاعل فهما لم يخرجوا إذا قدّما عن هيئتهما قبل تقديمهما، أو
عن حكمهما الإعرابي كقولنا: (منطلق زيد) بدلاً من قولنا: (ضرب زيد
عمرًا)، فقدّم لفظ (منطلق)، ولكنّه بقي خبراً كما كان، وقُدّم المفعول
(عمرًا) مع بقائه مفعولاً بهيئته وحكمه الإعرابي. أمّا الصّيغة الثّانية عند عبد
القاهر الجرجاني التي يأتي فيها التّقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن بنقل الشيء
عن حكم إلى حكم، وعن إعراب إلى إعراب. ويُمثّل بالجملتين (زيد المنطلق)
و(المنطلق زيد) ثمّ يقول: (فأنت في هذا لم تُقدّم المنطلق على أن يكون

1 - يُنظر نحو الجمل، تحقيق ودراسة مختار بوعناني، ص27. مط، الفجر للكتابة والنشر وهران، ط،

1، 1995م

2 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمّد شاكر، ص106.

متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيداً على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تُخرجه من كونه مبتدأ إلى كونه خبراً¹ والسبب هو العناية بالمتقدم، والاهتمام به، والتنبية عليه؛ أي جعله بارزاً.

وفي مناظرة بين متي وأبي سليمان في كتاب الإمتاع والمؤانسة، أوضح أبو سليمان (أن معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك...) ².

وزعم بعض البلاغيين أن التقديم والتأخير يُعد من المجاز؛ حيث أورد صاحب مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى قوله تعالى: (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) ³ وقال إنه من مجاز المقدم والمؤخر، وأراد رب واهتزت، وأورد أيضاً قوله تعالى: (إذا أخرج يده لم يكده يراها) ⁴.

وهناك المتبعون لأشعار العرب والنص القرآني الذين يُؤكّدون أن سبيل التقديم والتأخير هو كما ذكره الزركشي، ليس نقلاً لما وضع له اللفظ كدلالة

1 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص107

2 - الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص121/119.

3 - سورة الحج، الآية05.

4 - سورة النور، الآية04.

(الأسد) على الشجاع، و(طغى) على العلو والارتفاع؛ وإثما هو إعادة ترتيب لبناء الجملة، بما يتناسب مع حقائق حركة الحياة والكون، فيتقدم ما أريد التنبية عليه والالتفات إليه، ويتأخر ما لم يرد فيه ذلك¹.

توقعات المواقع

إن رتبة المسند إليه؛ أي المبتدأ هي التقديم، وقد يكون الإبقاء على تقديمه في بعض الأحيان أولى من تأخيرها، تبعاً لدواعي المقام، وذلك كأن يكون المسند ذا ضمير له (أن يُقرّر الحكم في ذهن السّامع ويُؤكّده بسبب تكراره، سواء كان اسماً ظاهراً... أو ضمير المخاطب نحو: أنت ركبت، كرر متّصلاً ومنفصلاً، وكذلك: هو ركب)² أمّا تأخير المسند إليه فلا يعدو الغرض من تقديمه إذ نصّ على ذلك محمد بن علي الجرجاني في قوله: (الدّاعي إلى تأخير المسند هو الدّاعي إلى تقديم المسند إليه)³ وبهذا فإنّ الدّاعي إلى تقديم المسند هو الدّاعي إلى تأخير المسند إليه، بُغية إيصال المعنى وتحقيق مراد المتكلّم.

ويرى صاحب الإيضاح في علوم اللّغة، أنّ تقديم المسند إليه؛ إثما يكون (لكون ذكره أهم، إمّا لأنّه الأصل، ولا مقتضى من العدول عنه، وإمّا

1- التّقديم والتّأخير، ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبيّة، مختار عطية، ص 17 .

2- الإشارات والتّنبهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، ص 02.

3- الإشارات والتّنبهات في علم البلاغة، ص 78.

ليتمكن الخبر في ذهن السّامع؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه¹. وأورد القزويني في هذا المضمار شواهد شعريّة، كقول الشّاعر:

والذي حارت البريّة فيه حيوان مستحدث من جماد
ومنه قول الشّاعر:

ثلاثة ليس لها إياب الوقت والجمال والشّباب²

وفي هذه النماذج تقدم المسند إليه (ثلاثة) تشويقاً للخبر وانتظاراً له ويفضّل النّحويون تأخير المسند والإبقاء على تقدّم المسند إليه، فقد أورد السيوطي أنّ (تأخير المسند يكون أولى من تقديمه، إذا كان تقديم المسند إليه أهم)³ وإلى ذلك ذهب الشّيخ أحمد الدمنهوري أيضاً⁴ وقد يمكن العدول عن تقديم المبتدأ، إذ يجوز تقديم الخبر (إذا لم يحصل بذلك لبس أو نحوه، فتقول: قائم زيد، قائم أبوه زيد، وأبوه منطلق زيد، وفي الدار زيد، وعندك عمرو)⁵.

موقعيات المسند

إنّ تقديم المسند على المسند إليه يكون لإفادة الاختصاص تارة، والاهتمام بالمتقدّم تارة أخرى، حيث يذهب التفتازاني إلى القول: (إنّ تقديم

1-الإيضاح في علوم البلاغة، ص33.

2-فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء العيد، ص04 وسمعناهم يدلون (الصحة بالجمال) فيقولون (الوقت والصحة والشباب) وهو أرجح في رأينا

3-شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص38.

4-يُنظر: حلية اللبّ المصون على الجوهر المكنون (بمأمش شرح عقود الجمان للسيوطي ص85.

5-شرح ابن عقيل، ج01، ص227.

المسند يكون الغرض منه تخصيصه بالمسند إليه¹ ففي قول الله عز وجل: (إنّ
إلينا إياهم ثمّ إنّ علينا حسابهم)² قد تقدّم المسند للاختصاص؛ أي (إنّ إياهم
لا يكون إلّا لله، وإنّ حسابهم لا يكون إلّا عليه)³.

وقد يتقدّم للاهتمام به، كما في قوله تعالى: (واعلموا أنّ فيكم رسول
الله)⁴ إذ قدّم الخبر للاهتمام به، وهو توبيخ للقوم على ما صدر منهم،
ورسول الله بينهم، لذلك قدّم الخبر؛ لأنّه (مناط التوبيخ، ومحل الزجر)⁵ فيما
فيما ذهب آخرون إلى إضافة أغراض يتقدّم المسند لأجلها منها: التّفاؤل
بتقديم المسند على المسند إليه، والتّنبية على أنّ المسند خير لا نعت؛ فالغرض
الأوّل كقول الشاعر:

سعدت بغرّة وجهك الأيام وتزّينت ببقائك الأعوام.

والغرض الثاني كقول حسّان بن ثابت:

له راحة لو أنّ معشار جودها على البرّ كأنّ البرّ أندى من البحر⁶

وقد كانت الغاية من تقديم المسند في هذا الموضع هي إيصال المعنى
المقصود بأوضح تعبير وأصح أداء.

1 - شروح التّليخيص للتفتازاني، ج 02، ص 10.

2 - سورة الغاشية، الآية 26.

3 - دلالات التّركيب دراسة بلاغية، محمّد أبو موسى، ص 177.

4 - سورة الحجرات، الآية 07.

5 - دلالات التّركيب دراسة بلاغية، محمّد أبو موسى، ص 163.

6 - علم المعاني، حسن طبل، ص 115/116.

إنّ الجملة لها علاقة وطيدة بالنّص، كعلاقة الرّوح بالجسد، لا غنى لأحدهما عن الآخر، والنّص هو المجال الذي تقوم فيه الجملة بمختلف نشاطاتها؛ باعتبار أنّ له وجهين: وجه الدّال، ووجه المدلول، وأيضاً (النّص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم)¹ ولست هنا بصدد الغوص في أنواع وأقسام الجملة، بقدر اهتمامي بدراسة دلالة الأَنس في الجمل التي وردت في ليالي أبي حيان التّوحيدي، وستتم دراستها حسب درجة الأَنس المحققة، وليس من خلال ترتيبها حسب الليالي.

تنويعات في المكونات

الاسم في مفهومه العام هو ما ارتبط بمسمى ودل عليه، ومن هذه النظرة تتعدد الأسماء وتتنوع بتعدد المسميات وتنوعها، وقبل الحديث المفصل عن الأسماء، نشير إلى أن المسميات — وبخاصة الإنسانية — تتداخل أسماءها مع أوصافها، ويختص الإنسان — وبخاصة العربي — بثلاث مفردات هي الاسم واللقب والكنية؛ والفرق بينها أن الاسم يعطى للمولود عند ولادته وأحياناً قبل ولادته، واللقب هو وصف يعطى للمسمى من المجتمع قد يكون مدحاً أو ذمّاً، ويبقى للمسمى أن يختار كنيته بنفسه لنفسه، فيسمى (أبو..).

ومن الفوارق الأخرى أن الاسم يعطى للمولود عند ولادته والذي يختار الاسم هو المسؤول الشرعي عن المولود، أو من يوكل إليه تسمية المولود، ومن هنا يكون المسمى العربي ليس مسؤولاً عن اسمه، ولكن المجتمع العربي أعطى للمسمى فرصة التعويض وتدارك الأخطاء إن وقع ذلك في اسمه.

يولد المولود فيختار له الوكيل الشرعي اسما، وينمو هذا المولود في المجتمع عاملا متعاملا مع من في محيطه، فتعطى له تسمية ممن يتعامل معهم وتسمى تلك التسمية (لقب) ومرجعيتها غالبا إما صفة بالمدح أو صفة بالذم، وعلى المسمى أن يقبلها ويتعامل بها، بما فيها، من حسن أو قبح. ويقتضى للمسمى مجال ثالث له أن يختار فيه اسما ينسب إليه (أبو فلان أو أبو فلانة) وفي هذه التسمية مجال للتدارك والتعويض لغير ما يرضاه المسمى من وكيله و من مجتمعه.

وفي توظيف الأسماء عند أبي حيان تنويع بين الأجناس والطبقات والمسؤوليات والوظائف، فقد جاء ذكر أصحاب الرسائل السماوية بدءا من محمد عليه السلام، وعيسى بن مريم. ومن الأتباع والأصحاب عائشة رضي الله عنها، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود. ومن أهل الحكم والسياسة، عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن العاص، وكثير من الفقهاء والعلماء.

ومؤدى توظيف هذه الأسماء الأعلام أن فيها ذكريات وعبرا، وفيها غمز ولمز، وفيها تذكير بالحكم والحاكمين ومآل كل منهم، وفيه إشارات إلى صالح الأعمال وثوابت الأفعال، ففي ذكر علي بن أبي طالب إلى جانب عبد الملك بن مروان، وفي ذكر عمر بن الخطاب إلى جانب عمر بن عبد العزيز فيه إشارة التأصيل، وفي الجميع تاريخ يذكر وخصال تسجل.

وتبقى بعد هذا إشارة وهي: أن الاسم الدال على الذات بالتعيين والتخصيص قد يشاركه في وظيفة التعريف هذه غيره، مما يسمى بالمترادف والمشارك اللفظي والمعنوي. ونخص هذه المفاهيم والمصطلحات بحديث نأتي إليه لاحقاً.

في الاختلاف والاتفاق

لقد اهتم علماء العربية بقضايا التنويع والتلوين الصوتي والدلالي واعتبروها لوحات فنية فيها تلوين مناظر وتغير أفكار. وكان لظاهرة الترادف والأضداد والاشتراك اهتماما بالغا ونجد ابن فارس يركز على العلاقات بين الأسماء والمسميات، ويسمى الأشياء المتفقة في شكلها المختلفة في معانيها (المشترك اللفظي) كلفظة العين الدالة على الماء، والمال، والسحاب، ويسمى الشيء الواحد المختلف في اللفظ المتفق في المعنى (الترادف) ويسوق لذلك أمثلة كثيرة منها: نحو السيف والمهّند والحسام.¹ وقد وظف هذه التلوينات أبو حيان في الليلة الثانية، والعشرين بقوله: (قد يوصف الشيء بأنه واحد بالمعنى وهو كثير بالأسماء، ويوصف بأنه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى ويوصف بأنه واحد بالجنس وهو كثير بالأنواع، ويوصف بأنه واحد بالنوع وهو كثير بالشخص، ويوصف بأنه واحد بالاتصال، وهو كثير بالأجزاء، وقد نقول في شيء إنه واحد بالموضوع، وهو كثير بالحدود كالتفاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة، وقد يكون واحدا في الحدّ وكثيرا في الموضوع، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن....)² وهو في هذا النص، يثير الانتباه والاهتمام للاستفادة، كما يثير التفكير والاطلاع وتوسيع آفاق الجلسة والجالسين بالأنس والاستئناس. وفي الحديث المشترك اشترك الحاضرون، واتفقوا وامتنع البعض وخالفوا وفي ذلك كله اتفاق واشتراك واختلاف وتضاد والشيء يظهر بضده، وفي اللغة موضوع يسمى التضاد

1 - ينظر علم الدلالة، فائز الداية، ص، 77.

2 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج، 2، ص، 89.

التضاد

التضاد أسلوب لغوي من شأنه أن يزيد المعاني وضوحاً، لأن الأشياء تزداد بيانا بالأضداد ودلالته، كما يقول قدامه: (تكون بمعرفة الضدّ، فإذا عرفنا الحياة وعلمنا أنّها بالحس والحركة عرفنا ضدّها الذي هو الموت)،¹ ووفي الليلة التاسعة من ليالي أبي حيان ورد الكثير من الألفاظ المتضادة (كالنوم اليقظة، والحسن والقبيح، والخير والشر، والرجاء والخوف، والعدل والجور، والشجاعة والجن، والسخاء والبخل، والحلم والسفه، والطّيش والوقار، والعلم والجهل، والمعرفة والنكرة...) ²، وما جاء به أبو حيان من ألفاظ التضاد لها بعدان — في ما يظهر لنا — واحد لغوي ظاهر، وآخر نفسي خفي.

يظهر الجانب اللغوي للتضاد في ما يمتلكه الرجل من زاد لغوي يؤهله لأن يلون التعبير ويجيد التدقيق، ويصيب الغرض، بينما يتمثل الجانب النفسي في أن ذلك تعبيرا عن حال الجلساء فهم مختلفون في مواقفهم وآرائهم متفاوتون في معارفهم متفقون — شكلا — في واقعهم فهم الجلساء المتفقون أما صاحب الجلسة مختلفون متضادون في ما سوى ذلك. وفي الاتفاق والاختلاف رحمة ومتعة وأنس.

وتعمق التوحيدي في معاني هذه الصفات المتضادة حيث قال: (مناشئ الحسن و القبح كثرة، منها طبيعي ومنها بالعادة، ومنها بالشرع، ومنها بالعقل ومنها بالشهوة...) ³ وعن الصواب والخطأ قال إنهما أمران عارضان

1 — طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1389هـ — 1996م.

2 — الإمتاع والمؤانسة ، ج، 1، ص 149.

3 — الإمتاع والمؤانسة، ج، س، ص، 150.

للأقوال والأفعال والآراء والعقل هو الحكم الوحيد الذي يكشف أين الخطأ وأين الصواب مثلهما مثل الخير والشر.

الضديان الإنسانية

يوصل التوحيد حديثه عن الضد والاختلاف وينتقل من مجال اللغة إلى مجال الإنسان ويقف عند أصعب نقطة وهي أخلاق الإنسان وصفاته فيقول. عن الرجاء والخوف إنهما عرضات للقلب ولا يدخلان في باب الخلق ولا يخرجان أيضا وأما الشجاعة والجهن فهما خلقان متصلان بالخلق، ولذلك حسبت التوحيد فإن الجبان يتعذر عليه أن يصير شجاعا و يعزّ على الشجاع أن يتحول إلى العكس ويصبح جبانا، وعن السخاء والبخل يطول الحديث لأتهما يدخلان في باب معاملة الناس ويقابل السخاء والكرم مدح الغير أمّا البخل فيقابله الذم والتوبيخ.¹

ويصف التوحيد الحلم والسفه بأتهما خلقان وقال فيهما (الخلق ابن الخلق، والولد شبيهه بوالده)²، وهنا دلالة على أن الحلم والسفه صفتان تابعتان للمزاح في الأصل، وأما الجهل والعلم، فليسا من الأخلاق ولا من الخلق، وإنما يبرزان من صاحب الأخلاق والخلق³. ويتجاوزان مع المعرفة والنكرة، ولكنهما أعلق بالحس، ويقابل الحق والباطل المعرفة والنكرة لأنك تعرف الحق وتنكر الباطل وذكر التوحيد الكثير من المتضادات كالشك، واليقين والصدق والكذب، والإخلاص والنفاق.

1 - ستعرض للنوادر التي جاءت في الكتاب المتعلقة بالبخل في الفصل الرابع من هذا البحث.

2 - الإمتاع والمؤانسة أبو حيان الوحيدي، ج،1، ص،152

3 - نفسه، ج،1، ص 152.

وفي آخر حديثه في الليلة التاسعة قال له الوزير (...فقد مرّ في أخلاق الإنسان ما يكفي مجلس الإمتاع والمؤانسة)¹ وهذا القول فيه استمتاع واستئناس للوزير بما قاله التوحيدي وأنه استكفى بكل ما ذكره من أضرار وشروحا. وفي هذا أنس للحضور وتأنيس للتوحيدي وفيه ما يكفي من الدلالة على الشبع والإحساس بالاكْتفاء بالأنس والمؤانس.

الأضرار التجريدية

تقدم الحديث عما ساقه أبو حيان من الأضرار في مختلف المجالات، منها جانب معنوي وهما هنا يعود في الليلة السابعة والثلاثين إلى الحديث عن الأضرار المعنوية التجريدية فيأتي بحوالي عشرين ضداً وهي : (العقل، والحمق، والعلم، والجهل، والحلم والسّخف، والقناعة والشّره والحياة، والرّحمة والقسوة، والأمانة والخيانة والتيقظ والغفلة، والتّقى والفجور والجرأة والجبن، والتواضع، والكبر، والوفاء والغدر، والنصيحة والغش، والصدق والكذب، والسّخاء، والبخل، والأناة والبطش، والعدل والجور، والنشاط والكسل، والنّسك والفتك، والحقد والصّفح)².

وهذا التنويع اللفظي يقرع الحس ويشعره بالنشوة من جهة، كما يقدم صورة وتصورا لما كان يراه التوحيدي في الناس ولعل لمجالسيه النصيب الأوفر

1 — الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي، ج، 1، ص 157.

2 — نفسه، ج، 3، ص، 128.

من ذلك وأن له كل إيجابيات الوصف ولغيره اقتسام البقية بالتساوي أو بغيره.

شبهة الحديث

لقد ذكر التّوحيدي عدّة جمل تؤكّد حدوث الأّنس والمتعة اللّغوية، من خلال الحديث أو الجلسة التي كانت تجمعهم مع الوزير، ففي اللّيلة الأولى وردت الجملة: (رجعنا إلى الحديث فإنّه شهّي)¹ ويعنينا من هذه الجملة قوله: إنّّه شهّي، والأصح: (إنّ الحديث شهّي) للتّأكيد على أنّ الحديث والكلام لذيد كطبق فاخر، و(شهّي) خبر المبتدأ (الحديث) ويدلّ على المتعة والأّنس، فمثلاً تكون العودة إلى تناول الطّعام اللّذيد بلهفة، يحدث الرجوع إلى الحديث الممتع والمتميّز بشوق فريد؛ حيث تحققت المتعة لغوياً من خلال لغة التخاطب والتّواصل، وكذلك كان طلبه العودة إلى الحديث الشّيق والمؤنس.

وجاءت الجملة الاسميّة (إنّه شهّي)؛ لتوضح حال ما قبلها (رجعنا إلى الحديث)، وذلك بتحديد سبب العودة والرجوع إلى الحديث، والكلام المتمثل في لذاته، ممّا خلق نوعاً من المؤانسة التي تجلب صاحبها إلى مواصلة الحديث المؤنس الشهّي، دون انقطاع.

وفي هذه الأحاديث تغيّر الموقع النّحوي لـ (الحديث)، ومعه تغيّرت الوظيفة النّحويّة، فبعد أن كان اسماً مجروراً بـ (إلى) أصبح ركناً أساسياً في الجملة الثانية (إنّه شهّي)، حيث تحوّل إلى اسم (إنّ) والهاء هنا وردت ضميراً

متصلاً في محل نصب، الاسم لتأكيد أن الحديث كان شهياً، ولا يزال الجزء المتبقي يحتوي على مشهيات أخرى.

خلفيات الأنس والإمتاع

إنّ الوقوف على دلالة الجملة، يستوجب أخذ معاني المفردات والتركيب النحوي (بالإضافة إلى أخذ هذا التركيب بعين الاعتبار، يتم التركيب الدلالي اعتماداً على معاني المفردات، وهو بالتالي يحتوي على معجم يسند لكل مفردة معنىً أولياً، ويحتوي من جهة أخرى على قواعد إسقاطية، تدل على طريقة مزج المعاني المفردة التي يتوصل بها إلى مدلول الجملة)¹ والتمتعن في الفقرة الموالية لهذه الجملة (فإنّه شهّي) يدرك أن الحديث الشهيّ له عدّة عوامل كالنغمة، والحروف المتقاومة، واللفظ العذب، والسّجع².

يقول أبو حيان على لسان أحمد بن محمد (إذا أنصفنا التزمنا مزيّة العراقيين علينا بالطبع اللطيف، والمأخذ القريب، والسّجع الملائم، واللفظ المؤثّق، والتأليف الحلو، والسّبوطة الغالبة، والموالات المقبولة في السّمع الخالصة للقلب، العابثة بالروح، الزائدة في العقل، المشعلة للقريحة، الموقوفة على فضل الأدب، الدالة على غزارة المغترف، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف)³ وفي هذا، يدعو أبو حيان إلى الالتزام والاحتذاء بالعراقيين في

1- اللسانيات التوليدية والتحويلية، عادل فاحوري، ص54، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

2- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحّيدي، ج، 1، ص22.

3- نفسه، ج، 1، ص64.

الكتابة، والإبداع المعروفين بجلاوة التّأليف، ورونقة الألفاظ التي تتأثر بها النفس وتتلذذ، وتثير الإحساس.

وقبلها قال الوزير: (تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتّأنيس)¹ فالنفس تحتاج إلى التّرويح؛ لأنّها (سريعة الدّثور)² و(الحديث معشوق الحس بمعونة العقل)؛ فالجملة الاسميّة (الحديث معشوق الحس) ترتبط بالأداة "الباء" مع معونة العقل، وهي الجملة الإضافيّة، والمعنى الذي نستشفه هو أنّ الحس يعشق الحديث بوجوده ومساعدته؛ فالحس والعقل عاشقا الحديث الذي يحتوي على إبداع راق وجميل، إذ أنّ العشق يكون بين الحبيب والمحجوب، وهنا ورد كدلالة على الهيام وجنون الحس بسماع الحديث الحلو، والمثير للفرح.

وجاء في الليلة الأولى، من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التّوحيدي (إنّ في المحادثة تلقيحاً للعقول، وترويحاً للقلب)³ هذه الجملة الاسميّة تؤكّد أنّ المحادثة تلقح وتغذي العقل، وتروّح عن القلب وتشرحه فيستريح، والأصل إنّ تلقيح العقول وترويح القلب في المحادثة، ووردت جملة القسم قبلها (والله إنّني لأشتري المحادثة)⁴ وقالها عمر بن عبد العزيز، وهذا

1 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيّان التّوحيدي ج، 1، ص 19.

2 - نفسه، ج، 1، ص، 23.

3 - نفسه، ج، 3 ص 26.

4 - نفسه، ج، 3، ص، 27.

القسم أو الحلف يؤكد مدى أهميّة المحادثة، ولكي توجد أقسم بأنه سيشتريها إن استدعى الأمر، وكأنّها شيء ثمين من الضروري توفيره.

وفي الليلة السادسة قال: (...وأشرب النَّفس حلاوته)¹ والأصل: (أشرب النَّفس حلاوة القول) وجاءت هذه الجملة الفعلية لتؤكد أنّ الحديث الذي جرى يتضمّن غزارة التّأليف، وحلاوة الكلام، والنّفس تواقّة إلى أن تشفي غليلها بحسن الإبداع، بغية الشعور بالفرح، وهو دلالة على الأنس، ومن خصائص فن القول: اللفظ الحسن، والاسترسال، والسّجع الملائم.

ويعود بنا الحديث عن القسم في الجملة (والله لقد وجدت روحاً كثيراً)² والروح بمعنى الرّاحة والدّلالة التي نستوحىها هي حدوث السّعادة النّفسية والعقلية؛ فالنّفس تستأنس للكلام الجميل والمفيد، سواء بالسمع أم بالبصر، عن طريق القراءة في كتاب ما، فتتهزّ النَّفس، ويرتاح الحس، ويحدث الأنس.

رونق الكلام

ورد في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة، قوله: (ما أكثر رونق هذا الكلام)³ وهي جملة تعجبية جاءت للتعبير عن مدى الانفعال النّفسي والشعوري من خلال التّأثر والانبهار بحلاوة الكلام ورونقه، والتّعجب حالة نفسيّة ترسم ملامحها على الإنسان بسبب تأثره من مشهد ما، فيعبّر عن ذلك

1 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التّوحيدي ج، 3 ص 95.

2 - نفسه، ج، 3، ص 66.

3 - نفسه، ج، 2، ص 23.

الاندهاش وهو (انفعال النفس عمّا خفي)¹ وجاء أسلوب التعجب من كثرة رونق الكلام الذي يثير شهية النفس والعقل معاً لنهل المزيد فهو أعلى مرتبة في كنه العقل (ما أعلى رتبته في كنه العقل)² والأصل: ما أعلى رتبة الكلام المرونق في كنه العقل.

وفي الجزء نفسه قال الوزير: (هذا كلام عجيب)³ والعجب هنا من دقة الشرح والتفصيل التي قدمها أبو حيان، كما وردت جملة تؤكد الانبهار في قوله: (ما أحسن هذا المجلس)⁴ والحسن يدلّ على الجمال والبهاء، ورضى النفس، والوزير قد اعترف بحسن المجلس الذي حضره مع أبي حيان؛ لكونه شعر بالرضى، فعبر عنه بصيغة التعجب، مفضلاً ذلك المجلس، وقد ذكر الزجاجي أنه (إذا تعجبت من شيء، وجعلت في أول كلامك "ما" مع الفعل فانصب المتعجب منه لوقوع ذلك الفعل عليه، وذلك قولك: ما أحسن زيداً).

وفعل التعجب ثلاثي أبداً؛ مثل: فعل وفعل كقولك: كرم زيد، وجهل عمرو، وبرد الماء وما أشبه ذلك تدخل عليه الهمزة، وتنقله من فاعله وتجعله مفعولاً في اللفظ، وتجعل الفعل على وزن أفعل كقولك: ما أكرم زيداً، كما أن فعل التعجب غير متصرف)⁵.

1 - عن الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، مطهري صفية، ص 236.

2 - الإمتاع والمؤانسة، ج، 2، ص 23.

3 - نفسه، ج، س، ص، 22.

4 - نفسه، ج، 2، ص 103.

5 - الجمل للزجاجي، ص 112، صححه ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل بالجزائر 1926م.

وورد في كتاب الإمتاع والمؤانسة: (ما أحسن ما قصصته وما أتيت به)¹ وهذه الجملة تؤكد استمتاع الوزير بالحديث الذي سمعه، والتميّز بالأسلوب القصصي، حيث ذكر له التوحيد كلاً ما قيل حول فضل العرب على العجم، وفي حديث آخر قال: (هذا كلام عجيب، ما سمعت مثله على هذا الشرح والتفصيل)² حيث يؤكد الوزير على اندهاشه، وعجبه لما سمعه من حديث لم يعهده من قبل على هذا النحو، من الشرح والوضوح.

حكم مؤنسة

نقف في الليلة السادسة والعشرين من كتاب الإمتاع والمؤانسة، على جملة من الحكم الموجزة التي تتضمن أنساً روحياً، وهي بمثابة الدواء النفسي لكلّ متمعن ومتفحص في هذه الحياة؛ لكون الحكم مستوحاة من التجارب الصّحيحة (فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت؛ فالأمثال ميزان يُوزن به رقي الأمم وانحطاطها، وسعادتها، وشقاؤها، وأدبها، ولغتها...) ³ فالأمثال تختصر تجارب الأوّلين، وتفيد اللاحقين، والخلف يتعلّم من السلف.

وقد وردت حكم كثيرة، وأقوال عديدة، كلّها تحدث بها السلف عن التواضع، والكرم، والنجاح، والحب، والمودّة بين الناس؛ حيث يقول

1- الإمتاع والمؤانسة، ص73، ج1.

2- نفسه، ج2، ص23.

3- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، السيّد أحمد الهاشمي، ج02، ص25.

التوحيدى على لسان ابن المرادى¹: (علىك لأخيك مثل الذى علىه لك، عاشر أذاك بالحنى، من عرف بالحكمة لاحتته العيون بالهبة، عند الشدائد تذهب الأحقاد، الكرىم للكرىم مجلّ، من صان لسانه نجا من الشرّ كلّه)². ووردت أبيات شعرية على شكل حكم للتصائح التي تحتويها، وعلى سبيل المثال قول الشاعر:

يا ربّ هزلّ كان منه الجدلّ ورُبّ مزح كان منه الحقد

يعد هذا البيت الشعري عبارة عن حكمة، تنصح كلّ مازح بتدارك لسانه، فليس دائماً المزاح أو الهزل يرضى السامع ويفرحه؛ إذ يمكن أن يكون سبباً في نشوب خلاف قد يصل إلى نشوب العداة والكراهية، والملاحظ أنّ الوزير في ختام هذه الليلة لم يطلب ملحة الوداع كعادته، واكتفى بالقول (هذا فن موف للغاية)³ إنّ مثل هذه الأقوال والحكم، أضفت من دون شك على مجلس الوزير أنساً فريداً، وراحة تكتنفها الرغبة في مواصلة الحديث، والاستماع إلى المزيد من مثل هذه الحكم والأقوال.

ومن الجمل التي تدلّ على استئناس الوزير أيضاً، قوله: (والله لكأنّها بستان في زمان الخريف)⁴ وتأتي جملة القسم هذه لتؤكد حدوث الأنس؛ حيث وصف الوزير الأقوال والوصايا بالبستان المزهر في فصل الخريف، وكأنّه الربيع أقبل ليحوّل العبوس إلى فرح.

1 - ابن المرادى: هو شيخ من جلة العلماء، وله إسهام وافر في زمرة البلغاء.

2 - الإمتاع والمؤانسة للتوحيدى، ج، 2، ص 147/149،

3 - نفسه، ج، 2، ص 69.

4 - نفسه، ج، س، ص، س.

وتميّزت الليلة التاسعة عشر من كتاب الإمتاع والمؤانسة في جزئه الثاني بورود الكلمات القصار المتكوّنة أغلبها من المسند والمسند إليه، وهي في جلّها مستنبطة من تجارب النَّاس، كما يقول أبو حيان التّوحيدي: (كُتبت إليه أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب، على مرّ الأيام في السّفر والحضر، وفيها قرع للحس، وتنبية للعقل، وإمتاع للرّوح)¹ ومن بين هذه الأقوال: (الحمد لله مفتاح المذهب، من ارتدى بالكفاف اكتسى بالعفاف، الزم الصّمت وأخف الصّوت)² وهي تدلّ على جملة من الوصايا والنّصائح، كشكر الله على نعمه والالتزام بالقناعة.

استئناس الحيوان

وفي الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة، خصّص أبو حيان ليلة كاملة لذكر نوادر، وأخبار، ومعلومات حول الحيوان، وورد قوله: (النملة كالحكيم تجمع في الصّيف للشتاء، وهو يجمع في الدّنيا للآخرة)³ وهنا شبّهت النملة بالحكيم؛ لنبل عملها؛ ولكونها تدّخر للغد، ولتمييزها بالفطنة والحكمة؛ ولأنّها تنهياً للمستقبل، وفي المستقبل حياة وتفاؤل وأمل.

وتبرز دلالة الأُنس في الحكمة التي نستخلصها، والمتمثلة في التّحضير للآتي وللمستقبل؛ فالنملة بصغر حجمها تقوم بجهد قورن بجهد الحكيم الذي يستعمل الحكمة في حلّ مشاكل النَّاس، ويحضرنى هنا قول عمر بن

1 - الإمتاع والمؤانسة للتّوحيدي، ج، 2، ص 61.

2 - نفسه، ج، 2، ص 62.

3 - نفسه، ج، 2، ص 125.

الخطّاب "رضي الله عنه": (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً).

وذكر التّوحيدي (والحمام صنفان: إذا كان سماءياً كان أعلى ثمناً من الأرضي)¹ ولو بسّطنا الجملة تصبح: الحمام السّمائي أعلى من الأرضي، وكأنّ الحمام العّالي هو الغالي؛ أي مرتبط بالمكان المتواجد به، والحمام رمز السّلام، والحب، والوئام، ويكفي حمل حمامة وإطلاقها في الجوّ لتصل الرّسالة، وتفكك شفرتها الدّالة على السّلم.

ولعلّ الأمر المؤنس هو ما سنعرفه عن الفيل، هذا الحيوان الوحشي، حيث ورد أيضاً في الكتاب: (من الحيوان الوحشي ما يستأنس سريعاً وهو الفيل)² فالأنس عند الحيوان الوحشي مرتبط بعالمه الخاص الذي يعيش فيه، والقرد أيضاً سريع الحس، وحسن الصّوت (القرد أهياً الحيوان لقبول التّعليم، وهو لعوب غضوب، سريع الحس؛ فإذا خرج صاح بصوت عال فتخرج منه رائحة طيبة، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته)³ فهو يتميّز عن بقيّة الحيوانات بصوته الجميل المقرع للحسّ.

كما جاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة، أنّ في البحر حوتاً يُقال له (البوس، يتولّد من الصّاعقة إذا كانت في البحر، وإذا وضع ذلك الحوت بين

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص160.

2 - نفسه، ج01، ص160.

3 - نفسه، ج01، ص174/175.

اثنين فأكلا منه تحاباً، ولا يحقد أحد على صاحبه، ويتآخيان أحسن الإخاء)¹ والبوس مشتق من الفعل باس؛ أي قبل والقبلة تولد المحبة والود، وهذا النوع من الحوت إن كان متوفراً حقاً في حياتنا وفي وقتنا الحالي لما بقي للحقد وجود، ولا للضعينة مكان ولعمّ السلام.

وقد لاحظ التوحيدى انحرافاً في الأدب، خصوصاً في الجملة من حيث الخط العربي السليم على يد بعض الأعاجم، فراح يشارك نقدياً في قضية اللفظ والمعنى، وهذا كمشاركة منه للدعوة إلى التسوية بينهما، وانتهى إلى تحديد مقاييس اللفظ الجيد.

ويتحدث أبو حيان التوحيدى في ليلة... (علينا بالطبع اللطيف، والمأخذ القريب، والسجع الملائم، واللفظ المؤنق، والتأليف الحلو)² وهنا يدعو التوحيدى إلى الالتزام بمقومات الصناعة الأدبية كحسن التأليف مع لطافة الطبع والسجع المريح للقلب، والمشعل لقريحة السامع؛ فالتوحيدى يوصي كل مؤلف أن يكون لطيف الطبع، ورقيق الحس ليلهم غيره. ويواصل وصيته القيمة... (ولا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تهوى المعنى دون اللفظ)³ فالعشق يجب أن يكون من نصيب اللفظ والمعنى، وكذلك الهوى نظراً لأهمية كليهما، ويقول: (واعرف قدرك تسلم، والزم

1 - الإمتاع والمؤانسة ج، 01 ص 177

2 - نفسه، ج، 01، ص 64.

3 - نفسه، ص 10.

حدّك تأمن)¹ وهذا تحذير من الخروج عن المؤلف في العبارات التي لا تصدر عن طبع أدبي، لكون اللسان مصدر الأمان بقدر ما يكون مصدر للتهلكة. إنّ التّوحيدي يجعل العقل في الإبداع عاملاً هاماً، وقوّة فاعلة ومميّزة، ومن المهم إشراكها مع الطّبع، والرّواية، والدّراية، حتّى يستوفي الإبداع عناصره الأساسيّة وتكتمل شروطه، وأمّا الجرجاني فهو أيضاً يعير العقل أهميّة في الإبداع، ويرى أنّ التّظّم يتم بتناسق الألفاظ، وإشراك العقل والحس.

الفصل الثالث

دلالة الأَنس في المشتقات

توطئة

الاشتقاق، منطوق يوحى بالفصل والتقسيم، ويجيء منه انشق وتشقق، وفيه قال صاحب اللسان: (اشتقاق الشيء: بنيانه من المرئجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه. ويقال شقق الكلام إذا أخرجته أحسن مخرج)¹ ويفهم مما سبق، أن لمنطوق الاشتقاق عدة مجالات في الاستعمال، ذكر منها صاحب اللسان هنا أربعة.

كما يفهم من الجميع، أن الاشتقاق توزيع وتنويع وتفريع، ولفهم وظيفته أكثر نقابله بضده — وبضدها تتبين الأشياء — الذي هو الجمود، فالجامد — كما أوضحناه في توزيع الأسماء — هو الثابت المتصلب غير القابل للتغيير، ويكون المشتق هو اللين المتغير القابل لجميع التبدلات والتغيرات، كما يكون قابلا للتطوير والتنويع والتجديد والتوليد، وخلاصته أن المشتق هو اللين المطاوع. ومن هذه النظرة نقف عند حدوده وتعريفه ومنطلقنا من اللغة فالاصطلاح.

مع المفاهيم

جاء في الأثر، أن الاشتقاق هو مستقى من الفعل (شقق) زيدت فيه همزة الوصل والتاء، منتقل من صيغة (شقق) الثلاثي إلى صيغة (اشتقق) الخماسي

1 - لسان العرب ابن منظور، ج، 10، ص، 184، ع، 2، س، 05.

ومعناه العام هو التشقق والانفتاح الشيء، قال ابن فارس: (الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء.)¹ و(شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج)². ومن هذا المفهوم الذي هو (حسن الإخراج) كان منحى الاشتقاق فنيا جماليا يليق بمجالس الأنس والفرح، ذاع صيته وشاع استعماله في مختلف المجالات حتى اتفق الناس عليه واصطلحوا على مفهومه. وهو ما نقف عنده لاحقا.

الاشتقاق اصطلاحا

الاصطلاح منطوق مستقى من الفعل الثلاثي صلح بفتح اللام وضمها) زيد فيه صامتاتان فصار خماسيا وانتقل من صيغة فعل إلى صيغة افتعل شأنه في ذلك شأن صيغة (شقق) السابق ذكرها وخلاصة ما قيل فيه إنه (أخذ الكلمة من الكلمة)³ وأخذ الكلمة من الكلمة هو نوع من التوليد والتوسيع والتوزيع منها جانب يسمى التشقق ولكن التاء فيه هي العنصر اللافت للانتباه، لأن من معاني هذه الصيغة (افتعل) في مثل اكتسب واستحوذ هو الاستعمال والتوظيف والتملك⁴ ولها معان أخرى تصب جميعها في هذا المجال. وتعود إلى أصل واحد وذلك ما راعاه ابن جني وارتآه.

1 - مقاييس اللغة لابن فارس ، ج 3، ص، 170

2 - لسان العرب، مادة (ش.ق.ق)

3 - عن الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص 145، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

4 - ينظر تفصيل القول هذا في شرح الشافية ابن الحاجب ج، 1، ص، 74، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تح، كامل بركات ص. 96.

أصالة وتأصيل

اختلف المختصون — وقلما اتفقوا — حول أصل الاشتقاق وكانوا في ذلك طائفتين بصريين وكوفيين؛ ذهب البصريون إلى أن أصل الاشتقاق هو المصدر، وأن الفعل مشتق منه، وفرع عليه، في حين ذهب الكوفيون إلى أن (أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه)¹، وترتب عن مفهوم الأصالة والتفريع — عنهم — تفاوت في قوى الأصوات والمفردات وانجر عن هذا ما علاقة المفهوم بالمنطوق.

وقسم السيوطي الاشتقاق إلى الأكبر والأصغر فقط، والأكبر هو عقد تقاليد الكلمة على معنى واحد، كما ذهب إليه ابن جني في مادة (قول) في خصائصه²، ويقول جلال الدين السيوطي: (ولم يقل بهذا الاشتقاق الأكبر أحد من النحويين، إلا أبو الفتح بن جني، وحكى عن أبي علي أنه كان يأنس به في بعض المواضع)³. ويهمنا من قول السيوطي آخر عبارة، وهي قوله: (كان يأنس به في بعض المواضع) وفي هذه الجملة تعبير صريح واضح على أن من وظائف الاشتقاق الأنس.

علم الاشتقاق

لقد ميز الأوائل بين علمي الاشتقاق والصرف وجعلوا كلا منهما علما متميزا مفردا بالتدوين، ومن هؤلاء ابن جني⁴ معتبرين الاشتقاق يبحث عن كيفية

1 - شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأسترابادي ج، 1، ص، 74..

2 - الخصائص، ابن جني، ج 01، ص 05 إلى 11.

3 - هامش عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، ص 229.

4 يقول ابن جني في باب علم التصريف: ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به" وهذا فصل بين العلمين المنصف 2/1 تحقيق إبراهيم مصطفى، ط 1، 1960.

أخذ الألفاظ المتناسبة تركيباً ومعنى ورد بعضها إلى بعض؛ بينما يبحث الثاني — علم التصريف — في أحوال هيئات المفردات التي لها قياس واطراد، ويرى المتأخرون أن في ذلك ارتباطاً وتكافؤاً بينهما وعندما (تعرّس التمييز التام بينهما خلطوهما ودونوهما على مثال علم واحد حتى أنهم أقاموا لها تعريفاً واحداً¹ جعلوهما فيه) وسيلة من وسائل النمو اللغوي من حيث الألفاظ والصيغ وهو استخراج لفظ من لفظ (أو صيغة من أخرى)² واعتبروا الاشتقاق آلية لغوية للتعبير عن الأشياء والأحداث بصيغ اشتقاقية مختلفة. ولعل الجامع بين الآراء قولهم (توليد الكلمة من أصلها يسمى اشتقاقاً، وتصريفها في أو زان متلفة يسمى تصريفاً)³ وفي الجميع تنويع وتفرّيع.

ومن هذه النظرة يكون الاشتقاق وسيلة من وسائل نمو اللغة وتوليد المفردات، والعمل في هذا الحقل يكون بالتبديل والتغيير والتوليد والتنويع، وفي هذه العمليات جميعها نوع من اللعب والتلاعب بالمفردات ومكوناتها، وفي اللعب والتلاعب نكت وفكاهات تليق بمجالس الأفراح والسمر والأنس والتأنيس. وفي هذا المجال تحرك اللغويون ومنهم أبو حيان في مسامراته وليالي أنسه وتأنيسه.

1 عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، دراسة وتحقيق، د، أحمد عفيفي، ط1، القاهرة

2 يراجع من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص52، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3 - عنقود الزواهر، ص85.

تقسيم وتفريع

الاشتقاق أشكال وتشكيلات فيه الأصالة والتفريع وفيه التقسيم والتنويع، ولكل قسم وظيفة في الدرس اللغوي العربي، وقد حصر هذه التقسيمات والتفريعات والتنويعات جميعها العرب الأقدمون في ثلاثة وهي: الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الصغير.

أ - الاشتقاق الأكبر: ويسميه ابن جني التصاقب وعقد له عنوانا تحت تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ومن أمثلته: حمس وحبس فيقال مثلا: حبست الشيء وحمس الشر إذا اشتد¹ ونلمس هنا تناسبا في مخرج حرفي الباء والميم، فكلاهما من الحروف الشفوية.

ب - الاشتقاق الكبير: قال فيه إبراهيم أنيس: (أما ما سمي بالاشتقاق الكبير، فيفسر لنا عادة بأن بعض المجموعات الثلاثية من أصوات ترتبط ببعض المعاني ارتباطا مطلقا غير مقيد بترتيب) "2" أي أن كل مجموعة تقوم بين عناصرها ومكوناتها علاقة تجمع بين مختلف تشكيلاتها في وحدة معانيها، كالحمد والمدح والجذب والجذب، فهنا اشتراك في الحروف الأصول كلها، وتناسب في المعنى، لكن بلا ترتيب.

ويسمى الاشتقاق الكبير عند ابن جني، بالتقاليب الستة للكلمة مثل: (علم) وتقاليبها، شريطة أن يكون هناك تناسب في اللفظ والمعنى، دون مراعاة ترتيب

1 - الدلالة الإيجابية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص 146. عن الخصائص

2 - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص 55.

حروف المادة اللغوية، فقد اعتبر مثلاً أصوات (الجيم، والباء، والراء) مهما اختلف ترتيبها، تعبر عن القوة والشدة، وحاول التدليل على هذا بما ورد في اللغة، فقال: (جبرت العظم والفقير، إذا قوستهما، والجبروت القوة، والجبر الأخذ بالقهر والشدة، ورجل مجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه والشيء إذا حفظ قوى واشتد، ثم منه الأجر من البجرة، وهو القوي الشرة، ومنه البرج لقوته ومناعته)¹.

ج- الاشتقاق الصغير: ويسمى أيضاً بالاشتقاق العام "وهو أن تشتق من الفعل "فهم" مثلاً صيغاً أخرى مثل: فاهم، مفهوم، تفاهم...."² فهذه المفردات حتى وإن اختلفت تشكيلاً فاصولها واحدة وهي (الفاء والهاء والميم) وهي مفردة ثلاثية الأصول.

ويعرف ابن جني الاشتقاق الصغير بقوله: (فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه)³ أي أن يكون هناك تناسب بين معاني الألفاظ من خلال ترتيب حروفها مع اختلاف صيغها ومبانيها.

وقال فيه صاحب عنقود الزواهر في الصرف: (فالصغير أن يشترك اللفظان في الحروف الأصول كلها على الترتيب المخصوص مع التناسب في المعنى، ولا

1 - من أسرار اللغة العربية إبراهيم أنيس، ص55.

2 - نفسه، ص52.

3 - الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص146.

يتوهمن من اشتراط خصوص الترتيب لزوم بقاء الاتصال أو الانفصال بين تلك الحروف، حتى لا يكون خرج مع الخروج، أو ضارب مع الضرب متشاركين في الترتيب المخصوص)¹ إذ المراد مجرد التقديم والتأخير.

المشتقات

والمشتقات في العربية عديدة متنوعة باعتبار أصلها ومن ثمة كان اشتقاق الجناس و... والمشتق البلاغي وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى كهجاء ابن دريد لفظويه بقوله: أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي عويلا عليه² (عويلاً) أي ندبا وبكاء.

والمشتقات معدودة محصورة، جمعها بعض الدارسين في عشرة وقال فيها: (المشتقات هي الكلمات التي تؤخذ من بعضها وهي: عشرة، الفعل الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم الآلة والصفة المشبهة)³ وفي اشتقاق المصدر خلاف، لأن بعض الدارسين يعتبرون المصدر أصلاً ومنه أشتق الفعل وآخرون يرون العكس⁴ ولكل فريق رأيه وتعليقه؛ ويتفق الجميع على أن الاشتقاق علم من علوم اللغة العربية ومجال من مجالاتها الدراسية.

1 - عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد الفوشجي.

2 - البيت موجود في معجم الشامل، في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، ص، 115. مط، دار العودة بيروت، ط، 1، 1982م.

3 - معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي. ص، 856.

4 - ينظر تفصيل القول في هذا في معجم الشامل ص. 856.

لقد سبق حديث الوصف في مدخل هذا البحث، ونعود إليه هنا لدراسة الصيغ الوصفية وتحليلها من حيث أقسامها وأنواعها كأسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفة المشبهة، والمصادر، مما لها من خصائص وسمات.

ونعني بالسمات — هنا — الصيغ الصرفية، التي: (تقبل ظاهرة التنوين وتقبل الجر لفظا كالأسماء... وتحتل الضمائر كالأفعال، وتقبل التصريف والإصاق، وتدل على موصوف بالحدث)¹ ومن هذه الأقسام جميعها نتعامل مع ما له علاقة بهذا الموضوع² مع تلميحات إلى ما يوسع أفاق البحث وينميه.

وحديث المشتقات يتمثل — في ما مر معنا — في مجموعة من التشكيلات والتقلبات والتنويعات، مما يشبه اللعب والتلاعب بالصوامت والصوائت المنبعثة من مختلف النفوس والمشاعر والأحاسيس، ومن هذه النظرة ومن خلفياتها، كان الاقتراح على إدراج مادة الاشتقاق في هذا البحث من حيث هي مفردات متحولة متنوعة تنوع النفوس والخواطر، وجميعها وحدات مميزة تسمى المفردات.

الإفراد

المفردة العربية رباعية التنويع والتقسيم، هي اسم وفعل وصفة وأداة، ويتميز كل من الاسم والصفة بالإسناد، ومن ثمة كان لهما دور في تنويع المعنى وتوجيه الدلالة، وهما متداخلان عند اللغويين والمقصود بالاسم والصفة: (ما دل على صفة

1 - مبادئ اللسانيات، ص162، أحمد محمد قدور.

2 - حديث الاشتقاق موسع متنوع، والكثير منه ذو جانب تعديدي، بينما مطلبنا هنا، جانبه العملي الوظيفي ولذا سنتجنب الحديث عن الجانب الأول إلى الثاني.

شيء من الأعيان، أو المعاني، وهو موضوع على الموصوف)¹ والصفة ترتبط بموصوف تظهر محاسنه أو مساوئه، وفيهما معا ضحك وفكاهة وفيهما أنس وتأنيس، ومفردات حاملة لمعان مختلفة سنرى كيف وظفها أبو حيان في لياليه؛ ومن أشهر المفردات تحركا وتنوعا ومطاوعة المصدر بأنواعه.

المصدر

المصدر منطوق متفق عليه من حيث المفهوم والوظيفة، ومختلف فيه من حيث أيهما أصل، وقد (ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه... وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه)² ويتميز المصدر بأنه ما (ليس بالفاعل، وإن كان فيه دليل على الفاعل)³ والمصدر كلمة تدل على حالة أو حدث غير مقيد بزمان، ويختلف عن الفاعل بأنه هو (اللفظ الدال على الحدث، مجردا من الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظا مثل: علم، علما، أو تقديرا مثل: قاتل قتالا، أو معوضا مما حذف بغيره مثل: وعد عدة، وسلم تسليمًا)⁴ ومن هذه النظرة، كان المصدر أصل الفعل، وعنه تصدر جميع المشتقات، وهو قسمان: مصدر للفعل الثلاثي المجرد، ولما فوقه، وهو إما: ميمي، أو صناعي، أو بمعنى المرة.

1 - المعجم الشامل، ص564 لمحمد سعيد اسير، وبلال جنيدي؛ وينظر، اسم الفاعل والصفة المشبهة عند الصرفيين، دراسة مقارنة، د. محمود محمد علي أبو الروس، ص15، مط، حسان، ط، 1، 1984م.
2 - الإنصاف في مسائل الخلاف، بين البصريين والكوفيين كمال الدين، أبو البركات، الأنباري، ج1، ص235، باختصار. تأليف، محمد محيي الدين عبد الحميد، مط، المطبعة التجارية الكبرى بمصر، د، ت.

3 - كتاب سيبويه، ج1، ص118.

4 - معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص857.

وقد ورد الحديث عن المصدر في الليلة السابعة عشر من كتاب (الإمتاع والمؤانسة)، حيث سأل الوزير أبا حيان: ما تحفظ في تفعال وتفعال، فقد اشتبهها؟، فقال شيخنا أبو سعيد السيرافي: الإمام — نضر الله وجهه — (المصادر كلها على تفعال — بفتح التاء — وإنما تجيء تفعال في الأسماء، وليس بالكثير)¹ بل هي قليلة الوجود في الاستعمال اللغوي.

وروي عن السيرافي قوله: إن أهل اللغة ذكروا ستة عشر اسما وزنها تفعال (بكسر التاء) فطلب منه الوزير، بالتفصيل، فرد التوحيدي: (التبيان والتلقاء وتهواء، وتبراك، وتعشار، وترباع، وتمساح، والتمساح وتجفاف وتشال، وتمراد، وتلفاق، وتلقام، وتضراب، وتقصار، وتنبال)² والمقصود بتهواء فترة أو جزء فنقول: مر تهواء من الليل، وأما تمساح فهو الحيوان المعروف، في حين التمساح الذي جاء مصروفا يدل على الرجل الكذاب، وأما التمرد فيدل على البيت الصغير الذي يبيض فيه الحمام وتلقام: سريع اللقم، وتضراب: كثير الضرب ويقال: أتت الناقة على تضرابها، أي على الوقت الذي ضربها الفحل فيه وتقصار: المخنقة، ويقصد — (تنبال) القصير.

وإذا وقفنا عند هذه المفردات متدبرين أمرها تبين لنا منها أشياء. أولها موقف أبي حيان من السؤال، وثانيهما جوابه عن السؤال، وثالثها خلفية السؤال

1 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج2، ص02.

2 - نفسه، ج2، ص2 و03.

والجواب. ومن الجميع نستقي طابع الأنس والتأنيس في جلسات الأمراء والأدباء، من خلال هذه المقامة.

كان السؤال عن المصدر في ليلة من ليالي السمر موقعها وسط الليالي، مما يوحي بتآلف النفوس وتقارب الأفكار بين أبي علي الحاكي ومجالسيه؛ وفي هذا المصدر بُعد التوظيف، وتنويع التصريف، ذلك أن في هذه الصيغة تداخلا بين حركات فائها وفي تداخل الأصوات وتقاطعها تداخل المعاني والدلالات والإيحاءات، فكان في السؤال وجه من وجوه الاختبار والإحراج، وفي الجواب وجه من وجوه إظهار المعارف بالعرض والاختيار، وكان لجميع الجلساء والمسامرين وجه من وجوه الفكاهة والتندر والأنس.

كان المبتغى من المسؤول — وهو ما تحقق — أن يصيب عين الصواب في الجواب، وأن يصيب عين اللباقة واللباقة في اختيار عناصر الجواب، وذلك أمام جمع من الحاضرين الشغوفين بالعلم والمعارضة والاعتراض، لأن السؤال صرفي محض يوجه نفوس المتطلعين إلى هفوات الجيب، لترتفع الأصوات بالنكير، ويستبدل المسؤول بغيره في مجالس الأمير، وفي كل ذلك كله تربص وترقب، وتوقع من الحاضرين كل وهواه، ومن وراء ذلك كله، منافسات ومطارحات، غايتها ترتيب المجالس وتحديد المواقع وتثبيت الحظوات والخطوات عند صاحب المجلس.

انتهى السؤال والجواب معا، وبدأ ما بعدهما وهو تقويم الجواب وتقييمه وصاحبه، ترتب عليه تبديل مواقع عند السائل والمسؤول، وانقسم المجتمعون

والمستمعون إلى متقبل مرتاح، ومدبر مغتاض، وهذا سر من أسرار جلسات الندماء؛ لما فيها من معارف ومعلومات، ومطارحات ومغامرات.

وكان الانطلاق من سؤال إلى مواقف واختلاف آراء وتحزب جماعات؛ وقد تنشأ عنه خصومات وعداوات، وقع غير هذا في مجالس سيف الدولة الحمداني مع المتنبّي وخصومه في قضية (فعلى وفعلى) بفتح الفاء وكسرهما ووقع هذا من قبل مع سيبويه في ما يعرف بالمسألة الزنبورية.

المتعة الروحية

ويبقى ما بعد السؤال والجواب، حديث يتردد على الألسن، يثير التساؤلات ويوحى بالاجتهادات، يريح العقول ويؤنس النفوس بشكله ومحتواه، وقد يتأكد ذلك إذا عدنا إلى ديباجة افتتاحية الليلة السابعة عشرة التي استهلها بكلام وكأنه مبتور جاء فيها: (فرسم بجمع كلمات بوارع، قصار جوامع، فكتبت إليه أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب، على مر الأيام في السفر والحضر، وفيها قرع للحس، وتنبيه للعقل، وإمتاع للروح، ومعونة على استعادة اليقظة، وانتفاع في المقامات المختلفة، وتمثل للتجارب المخلفة، وامتنال للأحوال المستأنفة.)¹ وفي هذه الافتتاحية برنامج السهرة وجدول أعمالها — بتعبير المحدثين — وفيه قوة تركيز وتنظيم لما سيلقى، وتلميح لأهداف اللقاء.

إذا عدنا لهذا النص، نستجلي منه برنامج السهرة، تبينت منه فنيات، لعل أهمها الاختصار في المعنى، والاقتصار في الأداء، وذلك في قوله: كلمات بوارع، قصار، جوامع. أربع مفردات، متقاربات في الوزن والجرس والإيقاع، ففي الكلمات

1 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج.2، ص71، استهلال الليلة السابعة عشرة.

براعة الانتقاء مما قد يعجز عنه غير أبي حيان، واختصار المعنى مما هو مطلب من مطالب البلاغة. ثم يأتي بشيء من الشرح والتوضيح لأبعاد الجملتين وخلفياتهما.

بعد هذه الافتاحية المحصورة في جملتين قصيرتين معبرتين، يفصل في إيجاز ويجمع في لباقة ما يبتغيه ويسعى إلى تحقيقه بتقديمه لمجالسيه في مجموعة من العناصر الشيقة المؤثرة وهي: قرع الحس، وتنبيه العقل، وإمتاع الروح، ومعونة على التذكر، وإمتاع في المجالس، وتمثل وخلاصة تجارب الحياة. وتمثل لأحوال الناس فيها.

الاسم الصفة

الاسم كل ما دل على مسمى وارتبط به وناب عنه في الحضور الذهني، ومن ثمة اقترنت صورته النطقية بصورته الذهنية، وتعلقت صورته معا بخلفية الناطق ومرجعياته بما اختزنه في ذاكرته، وترتب عن هذه العلاقات مواقف وقرارات. وقد جمع بعض الدارسين بين الوصف والاسم فقالوا المقصود بالاسم الصفة: هو (ما دل على صفة شيء من الأعيان، أو المعاني، وهو موضوع على الموصوف، أي هو ما وصف به).

الأسماء أنواع متنوعة بحسب الكائنات، وللكائنات تصورات في ذهن الناطق منها الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها؛ والناطق عندما ينطق باسم من أسماء المخلوقات تقوم أمامه وأمام المتلقي صورة ذهنية يتخذ منها موقفا إيجابيا أو سلبيا، فما يثيره فينا اسم محمد وعمر وعلي وعثمان من إحساس، هو خلاف ما يثيره في أسماعنا اسم مسيلمة، أبي جهل، وأبي لؤلؤة.

كما أن للأسماء صفات وحالات توضحها أو تؤكدها وفي تعريف النعت وهو وصف¹ قال النحاة في النعت: هو (المشتق أو المؤول بالمشتق الموضح لمبتوعه في المعارف المخصص له في النكرات)² ومن هنا كانت وظيفة الوصف — وهو مشتق أو مؤول بالمشتق — التوضيح أو التخصيص. وهذه وظيفة مهمة ومفيدة في الاستعمال.

متعة الأمثال

المثل قول أو موقف مشهور يحتذى به الناس في مختلف جوانب حياتهم، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر المثل مفردا وجمعا، ونبهننا الله إلى فائدته كقوله تعالى (ضرب الله مثلا)³ وقوله تعالى (وكلا ضربنا له الأمثال)⁴ وقد وظف أبو حيان مغزى المثل ووظيفته التربوية والتعليمية في الحياة، فساق أمثلة استقاها من سيرة الرجال والنساء ممن يقتدى بهم.

وفي الليلة الثالثة والعشرين أورد أبو حيان أقوال الصحابة والصالحين وأحاديث الرسول عليه السلام مسندة إلى أبي هريرة، وبعد الانتهاء من سردها وروايتها قال له الوزير (ما أحسن هذا المجلس)⁵ ومن هذا المنطلق قلنا كان للحديث عن الأعلام من الرجال والنساء تأثير على نفوس الجلساء لما في الأمثال ومواقف الرجال من متعة وأنس وتفكه.

1 - فرَّق أحمد بن فارس في كتابه الصابي بين النعت والوصف فجعل النعت للمحاسن والوصف لمطلق الصفات وأرجع ذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. وينظر الصاحبي ص، 138.

2 - التحفة السنية بشرح الأجرومية ص، 67، محيي الدين عبد الحميد.

3 - سورة النحل، الآية، 75.

4 - سورة لقمان، الآية، 39.

5 - الإمتاع والمؤانسة، ج، 2، ص، 103/92، ط، بيروت.

حمولات الأسماء

الأسماء مسميات، ولكل اسم خلفيات ومرجعيات، تختلف باختلاف الأعراف والتقاليد بين من يختارون الأسماء. ومن هنا، تعد الأسماء مثيرات لمجموعة من الخلفيات، لما تحمله من إيجابيات. فمن الأسماء ما يوحى بالفرح والابتهاج، ومنها الوحي بالبؤس والحزن، ومنها من يوحى بالفخر والعظمة، ولنا في تاريخنا العربي ما يؤيد هذه الفكرة

إن الاسم بدلالة معناه، يثير إحساس المتلقي ومشاعره، فهو - على ما أسلفناه - يفرح ويحزن، يؤنس ويوحش؛ فمن الأسماء المثيرة للحزن والأسى شهداء ثورة التحرير أمثال زبانة، ابن بولعيد، عميروش، الأمير عبد القادر والجميلات الثلاث: جميلة بو حيرد، وبوعزة وبوباشة؛ فهذه الأسماء جميعها تثير الحزن والأسى، كما تثير المتعة التاريخية والأنس إلى أبطال الوطن، لما تحمله من أنفة وعزة وفخر، فللحديث عن هذه الأسماء، تنعقد الجلسات واللقاءات، وتقام الندوات والملتقيات.

ومن الأسماء من تثير المتعة للفكاهة المباشرة في مثل: بوبقرة وإسماعيل ياسين، ومن الأسماء المثيرة للأنس والدعابة في مثل عبد الوهاب، أم كلثوم، عبد الحلیم حافظ، فيروز. وخلاصة ما ننتهي إليه، أن في الأسماء دلالات وإيجابيات ومنبهات ومثيرات، ومن هنا نتساءل عن مدى توظيف أبي حيان للأسماء والصفات في لياليه.

بعض أعلام الفكاهة

واكبت الفكاهة الأدب العربي منذ بزوغ فجره، وخطت معه خطوات رشيدة إلى أن صارت تمثل الكلمة بكلّ معانيها من سخرية، وتهكم، ونادرة، وملحة... وسأكتفي بذكر بعض الأدباء الذين عنوا بالفكاهة إلى نهاية القرن الثالث الهجري.

لقد طفر الهجاء طفرة قويّة، قرّبت من أدب الفكاهة فتوطدت علاقتهما، وأضحى الهزل ينبعث من ثنايا الهجاء، وكان أبو تمام أوّل من بوّب الشعر إلى أبواب، جعل من بينها باب الملح المتضمن بعض من الهجاء، والبعض الآخر وضع للجد موضع الهزل¹.

أبو نواس

استطاع أبو نواس² أن يكسو هجاءه بدعابته وظرفه، واسمه الحقيقي: الحسن بن هاني، قدم إلى الكوفة بصحبة أستاذه والبة بن الحباب سنة 156 هـ أو نحو ذلك، اجتمع وهو صغير بأقطاب الشعراء حماد عجرد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، كان أبو نواس مرح النفس يتظرف ويرسل النكتة البارعة في شعره، بل وفي كلامه وأخباره، ووصفه بعض الكتاب بالأديب الظريف؛ والحياة بدون فكاهة حياة جافة، تثير الانقباض في النفس، والملل، والسخط على العيش؛ لأنّ الفكاهة بلسم يشفي الجروح، ويزيل الكآبة، ويبعث الرّاحة والطمأنينة في القلب، وهو الذي قال :

بعد امتناع وشدة التعب

سألتها قبلة ففزت بها

1 - الفكاهة في الأدب العربي، ص134.

2 - ولد بالأهواز سنة 139 هـ. ودخل الكتاب و عمره 6 سنوات.

فقلت بالله يا معذبتني جودي بأخرى أقضي بها أربي
فابتسمت ثم أرسلت مثلاً يعرفه العجم ليس بالكذب
لا تعطين الصبيّ واحدة يطلب أخرى بأعنف الطلب¹

هذه الأبيات الغزلية لغتها الدعابة و الرقة والفكاهة .

كما قال أبو نواس مداعبا :

فراجعي الوصل فإن زرتكم قدر فواق فاحلقي رأسي²

ويقول أحمد بن عبد ربّه في العقد الفريد: (الملح نزهة النفوس، وربيع القلوب، ومرتع السّمع، ومجلب الرّاحة، ومعدن السرور)³ والملح مفردها ملحّة، وهي الحديث الطيّب الذي يطرب النفوس، والقلوب، ويؤنس السّامعين ويريحهم.

وقد اصطنع أبو نواس مذهباً له في الظرف يقصد به الإضحاك، حتى أنّه في إحدى المرّات رآه البعض يصلي في جماعة فقالوا: ما هذا؟ فقال: أردت أن يرتفع إلى السّماء خبر ظريف⁴ وهي دعابة من أبي نواس ردّ بها على الذين اندهشوا من رؤيته وهو يصلي.

ويقول عبد الحميد المسلول في تعليق عليه: (وطريقة الدعابة الساخرة الماجنة، والجرأة على رجال الحديث، وصاحب الحديث كانت فيه طبيعة وسجّية،

1 - عن الديوان شرح أحمد عبد الحميد الغزالي، ص، 365. طبع بمصر 1953م

2 - الفكاهة في الأدب العربي، ص 160.

3 - نفسه، ص، 46

4 - ديوان أبي نواس ، ص، 153، .

وإن جعلتها فكاهة مستملحة لدى الأدباء، وخلع عليها أدبه خلعة القبول عند
الظرفاء)¹ وسرت جرثومة الفكاهة عنده في مطلع حياته، وفي بواكير صباه منذ أن
انتقل إلى البصرة، وتأدّب في مجالسها، وذات مرّة جاء إلى أستاذه "خلف الأحمر"
وطلب منه أن يستمع إلى قصيدة تراثيه وهو حيّ، ويقول صدرها:

أودى جماعة العلم مذ أودى خلف من لا يعد العلم إلا ما عرف.

فقال له خلف: (ويلك، ما حملك على أن رثيتني وأنا حيّ؟ فأجابته: أردت
أن أعلم، أفرح شعري أم لا؟ قال له: نعم، أفرح الله جوفك)². وكان أبو نواس
حاذقاً، وله مهارة في الرد المجانس، والمثير للضحك، مع روعة التصوير و دقة
العاطفة، فقد حدث أنّه كان خارجاً من دار الخلافة فتبعه الشاعر الرقاشي، وقال
له: (أبشر أبا علي فإنّ الخليفة قد ولاك في هذه الساعة ولاية، قال أبو نواس: وما
هي؟ ويلك قال الرقاشي: ولاك على القردة والخنازير، فقال أبو نواس: إذا فاسمع
وأطع)³ أي جعله من بين القردة والخنازير، وأمره بالولاء والطاعة.

أبو العيناء

أبو العيناء أديب وشاعر، وهو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن الخلال بن
ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء، مولى أبي جعفر المنصور صاحب التّوادر والشعر
والأدب، أصله من اليمامة، وولد بالأهواز آخر المائة الثانية، ومنشؤه بالبصرة، وبها
طلب الحديث، وكسب الأدب، وسمع من أبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد

1 - نفسه، ص، 259، وينظر محاضرات الأدباء للأصبهاني (ت 502 هج)، 261/02.

2 - أخبار أبي نواس لأبي هفان، ص 109، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر.

3 - نفسه، ص، 155.

الأنصاري، والعتبي، وغيرهم"¹ وقد ارتوى من كأس الجاحظ، ولقب بالفيلسوف السّاحر، حيث أنّ الفكاهة عنده تقوم في بعض مظاهرها على التخلص الفكّه، إذ يروى أنّه دخل على الوزير إسماعيل بن بلبل فقال له: ما الذي أخرك عتّا يا أبا العيّن؟ فقال: سرق حماري، فقال له: وكيف سرق؟ قال: لم أكن من اللّص فأخبرك"² وهنا يرد أبو العيّن ساخراً، ومفاكهاً للسّائل، ورغم كونه فقد حماره أجابه أنّه لم يكن برفقة السّارق الذي سرق حماره.

وهذا مظهر آخر نلمح فيه تخلص أبي العيّن مفاكهاً، فقد خصم أبو العيّن علويّاً، فقال له العلوي: أتخاصمني وأنت تقول كلّ يوم: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد؟ فأجابه أبو العيّن، لكنني أقول: الطيبين الطاهرين، وأنت لست منهم"³ وهكذا ردّ أبو العيّن على العلوي بسخرية جريئة واصفاً إيّاه بغير الطيّب وغير الطاهر.

إنّ أبا العيّن كان يعرف من أين تؤكل الكتف، فيروي النكتة اللاذعة، والأفكوهة الضاحكة بأسلوب يميّزه التهكم، والسخرية أحياناً، والمرح أحياناً أخرى، ويصدر الدعابة التي تسكن النفوس، كما كان قمةً في دنيا الأدب، والشعر، والملحة وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم، آية في الذكاء، واللسن، وسرعة الجواب"⁴.

1 - نفسه، ص162.

2 - أخبار أبي نواس لأبي هفان، ص169 و170

3 - الفكاهة في الأدب العربي، فتحي محمد معوض أبو عيسى، ص170.

4 - نفسه، ص، 170 .

وتأثر أبو العيناء بمدرسة الجاحظ في أدب الفكاهة، فيسخر ولا ييالي، رغم أن سخريته لاذعة، ولسانه سليط، لكنّه مثير للضحك، وصار أعمى بعد أن ناهز الأربعين، حيث خرج من البصرة فاعتلت عيناه، وأضحى ضريراً ليعود إليها، وتوفي بها سنة 283 هج، وقيل سنة 282 هج¹

ابن الرومي

امتاز ابن الرومي بالهجاء في شعره، مرتكزاً على الدعابة والتّصوير (وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به، وحتى صار يقال: أهجى من ابن الرومي)² ورغم أنّه كان عصبي المزاج لكن إن نعم بهدوء البال حيناً، أطنب لسانه مدحاً، وثناءً، وقولاً ساحراً، وأبدع في التّصوير الهزلي، وهو القائل:

أطلق الجرذان بالليل وصح هل من مبارز؟³

وقد أغرم ابن الرومي بالسخرية، والتّهمك بالعيوب الجسدية، والصفات المنبوذة كالبخل، حيث قال:

غدونا إلى ميمون نطلب حاجة فأوسعنا منعا جزيلا بلا مطل
وقال: أعذريني إنّ بخلي جبلة وإنّ يدي مخلوقة خلق القفل⁴

و هذا دلالة على البخل، لكن ابن الرومي عبّر بفكاهة بارعة عن الموقف.

ولد ابن الرومي سنة 221 هج؛ أي بعد ميلاد الجاحظ بعشرات السنين، فلا بدّ من أن يكون قد تتلمذ عليه، حيث تركت التّزعة الجاحظية آثارها في نزعة ابن

1 - نفسه، ص، 169.

2- الفكاهة في الأدب العربي، ص، 182. عن وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة التّهضة 1948 م.

3- نفسه، ص، 189.

4- نفسه، ص، 189.

الرومي، وقال عنه ابن خلكان: (هو صاحب التّظم العجيب، والتّوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكائنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقى فيه بقية)¹ وكان ابن الرومي مصوراً هزلياً، تتجلى قدرته في الكاريكاتير الضاحك، فيبدع ويعمد إلى تفخيم الحركة في مبالغة تدعو إلى الضحك، ويصف الشيء بريشة رسّام، وسائر في سخريته وتهكمه أستاذه الجاحظ.

حديث عن السلامي

ويقول التّوحيدي عن السلامي² (وأما السلامي فهو حلو الكلام، متسق النظام، كأنما ييسم عن ثغر الحمام، خفي السرقة، لطيف الأخذ، واسع المذهب، لطيف المغارس، جميل الملابس، لكلامه ليطة بالقلب، وعبث بالروّح، وبرد على الكبد)³ فالتّوحيدي يستحسن شعر السلامي، ويصف طبعه بالرفقة، وكلامه بالحلوة، ومتين السّبك ذو معنى دقيق، وله ليطة بالقلب إذ يلتصق ويعلق به. كما ربط التّوحيدي بين شخص السلامي الذي يحرص على أناقة مظهره، وجمال لباسه، وبين شعره الذي اصطبغ بطابعه ومزاجه أيضاً، وهذا يؤكّد مدى أصالة، وصدق الشاعر المؤنس للقلوب؛ لتفننه في أغراض الشعر العابثة بالروّح، وهو الذي قال:

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمع

1 - نفسه، ص192، عن وفيات الأعيان.

2 - السلامي: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي، من أشعر شعراء أهل العراق، ولد ببغداد 336 هج، وتوفي 394 هج، وقد اتّصل بالصّاحب، وعضد الدّولة، عن/يتيمة الدهر ج02، ص396/431.

3 - الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص134.

صحبتة والصبا يغري الصباية بي والوصلي طفل غرير الهوى يفع "1"

ونلمس هنا رقة الغزل، وروح الشكوى التي تسري فيه مثل معاناة المحبين، ضحايا سلطنة الحب. وقال عن الحاتمي "2" (وأما الحاتمي فغلظ اللفظ، كثير العقيد، يجب أن يكون بدوياً، وهو ما لم يتم حضرياً، غزير المحفوظ، جامع بين النظم والتثر على تشابه بينها في الجفوة، وقلة السلاسة).

ويحدد التوحيدى ميزتين للحاتمي: الأولى هي غزارة محفوظه من اللغة والشعر، مثل كثير من شعراء عصره، وزهوه بنفسه، ولغوياً يقول عنه التوحيدى: إنه غليظ اللفظ، وقليل السلاسة، ومفتقر لقلة الطبع، كما يعاني من انفصام في الشخصية، وهو ما انعكس على أدبه، وهذا يظل رأيه الشخصي فيه.

أسماء الأفعال

ورد في كل ليلة من ليالي الوعيدى مفردات دالة على أسماء ومسميات، منها الجوامد ومنها المشتقات وفي الجوامد ثبات وتركيز، وفي المشتقات تنويع وتطوير وتوليد ومن مفردات هذه الليالي اسم فعل الأمر، الذي كثر ذكره، وشاع وروده؛ ومن تلك المباني الإفرادية صيغة (هات) التي وردت في الليلة السابعة عشر

1- يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ص406، دار الفكر بيروت، 1974م.

2- الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص27،

في قوله: (هات ما أحببت) وفي قوله أيضا: (هات حديثا يكون مقطعا للوداع)¹ وغالبا ما كان أبو حيان يستعمل اسم الفعل (هات) قبل ملححة الوداع. إن صيغة (هات) هي اسم فعل أمر بمعنى (أعط) وأصلها (آت) من أتى إيتاء فقلبت الهمزة هاء² وقد استعملت هذه المفردة في ليلة أخرى، كدلالة على الاكتفاء من حديث الأُنس والتأنيس الفكري الجدي، واللغوي المجدي، وللبحث في المقابل على أنس معادل مريح للنفس والقلب لتأتي الطرفة مثلاً، أو بيتا شعريا كخاتمة للجلسة، وإعلان لمفارقة الجلسة والجلساء وآذان للخلود والراحة.

إن أسماء الأفعال هي التي تدل على أسماء الألفاظ النابتة عن الأفعال أو النابتة عن معاني الأفعال، من الأحداث والأزمنة؛ أو هي كما قال عنها جماعة من البصريين: (أسماء للمصادر النابتة عن الأفعال)³ وقد احتار البصريون في شأنها، وجعلوا لها مترلة بين المترلتين؛ أو كما يقول اللغويون، هي (بين بين).

فهي أسماء دون أن تخلص في دلالتها على المعنى والذات، على الرغم من قبولها لبعض علامات الأسماء كالتنوين والألف واللام، وهي مقرونة بالدلالة الزمنية، سواء الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل؛ عكس الكوفيين الذين يرون أنها أفعال صحيحة متصرفة، وذلك لدلالتها على الحدث والزمان، ضلا عن استعمالاتها المختلفة.

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج، 2، ص، 23

2 - الدلالة الإيجائية، مطهري صفية ص، 232.

3 - شرح الكافية الشريفة الرضي، ج، 2، ص، 232 و233، تحقيق وشرح محمد الزفزاف ومحمد محيي الدين

عبد الحميد، مط دار الفكر العربي بيروت، لبنان، ط، 1، 1975م

اسم الفاعل

اسم الفاعل هو (الصفة الدالة على فاعل، جارية في التذكير والتأنيث، على المضارع من أفعالها)¹ واسم الفاعل يدل على من قام بالفعل. ويتميز بكونه مشتقا من المصدر، فهو لا يخلو أن يكون من فعل ثلاثي أو أزيد² ومن أسماء الفاعلين في كتاب الإمتاع والمؤانسة (عاشق، حالم، سائل سامع، راجع، راغب، ذاهل) وجميع هذه المفردات تحمل دلالات الأنس التي تكمن في العشق والحلم والتساؤل والعودة والرجوع والحركة، مما يؤكد حدوث الأنس.

وأما راغب، فمن فعل رغب يرغب ورغبا³. بمعنى أحب الشيء، كما وردت مفردة ذاهل من فعل ذهل يذهل ذهولا، وهذا لا يحدث إلا من شدة الإعجاب والاندعاش بالشيء. ومن غير الثلاثي (مستأنس، ومحسن، ومخلص ومسكن..) وكلها أسماء تؤنس سامعيها ومشتقة من الأنس والإحسان، والإخلاص، والسكينة، باعتبار أن اسم الفاعل يدل على وصف الفاعل بالحدث.

اسم المفعول

اسم المفعول هو ثاني الصيغ المشتقة، وهو (اسم مصوغ من المصدر، ليدل على من وقع عليه فعل الفاعل)⁴ ومن الصيغ التي وردت في كتاب الإمتاع والمؤانسة على وزن مفعول: (معشوق، ومعسول، ومرفوع، ومحفوظ، ومبسوط)

1 - تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في الصرف، ص، 89 حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة. ط، 1، 2004م.

2 - الجمل، أبو القاسم الزجاجي، ص، 546

3 - جاءت هذه المفردة في قوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ومما رزقناهم ينفقون) الآية، 90 من سورة الأنبياء. وقالت العرب دواعي الشعر أربعة: امرؤ القيس إذا شرب، والأعشى إذا طرب، والنايعة إذا رهب، وزهير إذا رغب.

4 - الجمل، الزجاجي، ص، 546.

وهي صيغ تجمع بين حرقة العشق وحلاوة العسل، وبين أنفة الرفعة، وعزة الاحتفاظ، وبين نشوة الفرح، وانسراح الانبساط.

وتكمن وظيفة اسم المفعول الأساسية، في الصيغة الصرفية التي تنضوي تشكيلته الدالة فيها، على وصف المفعول بالحدث وصفا متجددا¹ وصيغة (مسرور)² التي وردت في الإمتاع، تصف المفعول بالفعل، ودلالاتها السرور الذي يبعث على الأُنس، كما وردت أسماء (مفعول) أخرى في جلسات الإمتاع والمؤانسة، منها (صبور وحليم) وأوضح ما تتصف به صيغة المفعول، من حيث دلالتها، أنها تجمع بين الحدث والذات.

ومن المتفق عليه، بين معظم الدارسين، والباحثين المختصين، أن أقسام الكلام في مجال الدراسات اللغوية وبخاصة النحوية أنها ثلاثة: (اسم وفعل وحرف معنى)³ وعرفوا الفعل بأنه كلمة دلت على معنى في نفسها واقرنت بزمن، والاسم كلمة

1 - ينظر الإمتاع والمؤانسة، ج، 2، ص، 70

2 - نفسه، ج، 2، ص، 70

3 - من أوائل الذين قالوا بهذا التعريف سيبويه في الكتاب ج، 1، ص، 12 قال: (الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل. وقال به المتأخرون كابن آجروم بعد أن عرّف الكلام، قال في تقسيمه: (وأقسامه ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) ينظر التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد، مط، دار الإمام مالك، 2002م، ونوع فيه صاحب المغني في علم النحو، وأوضحه بقوله: (الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وهي إما اسم ك(رجل) وإما فعل ك(ضرب) وإما حرف ك(قد) ينظر المغني في علم النحو، ص، 17، فخر الدين الجابري، تح، قاسم الموسوي، مط، دار صادر بيروت، ومكتبة الرشاد استنبول، ط، 1، 2007م. واقتصر صاحب الكافية الكبرى في علم النحو، الشيخ خليل الإسعدي في تعريف الكلام على ثلاثة عناصر جاء فيها (الكلمة اسم وفعل وحرف) ينظر الكافية الكبرى ص، 26، تح، إلياس قبيلان التركي، مط، دار صادر بيروت ومكتبة الرشاد استنبول، ط، 1، 2007م، وهذا تعريف ناقص وعليه جرى بعض المحدثين.

دلت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمن. ويبقى المصدر المشتق غير وارد في التقسيم الرئيس، وإذا تأملناه وتدبرناه، وجدناه كلمة دلت على معنى في نفسها، واقتربت بمعنى الحدث والذات معا، فإذا قلنا (كُتِبَ) كان فيها وحيٌ بزمن مضى، وإذا قلنا (محمد) كان فيها وحي بوجود ذات؛ وإذا قلنا (كاتبٌ أو مكتوبٌ) كان فيها وحي بوجود الفعل الذي هو الكتابة، وإيحاء بوجود الذات التي هي هنا مفرد مذكر. ومن هنا جاءت قيمة المصدر المشتق.

اسم التفضيل

إن حالات اسم التفضيل باعتبار المعنى واللفظ ثلاث (باعتبار اللفظ أن يكون مجردا من "ال، والإضافة"؛ وحينئذ يكون له حكمان: يلزم الإفراد والتذكير دائما، ولو كان المفضل مثنىً، أو مجموعا، أو مؤنثا، فتقول: عليٌّ أُنْبَهُ من خالد، والعليان أُنْبَهُ من خالد، والعليون أُنْبَهُ من خالد؛ وهند أُنْبَهُ من سعاد، والهندان أُنْبَهُ من سعاد، والهندات أُنْبَهُ من سعاد؛ والثانية أن يكون مضافا إلى نكرة أو معرفة، وأن يكون مقرونا ب"ال" ¹).

أما من حيث المعنى فإنه يدل على اشتراك شيئين في صفة واحدة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصيغة، ويراد بينهما وصف مشترك ² كالتي وردت في

1 - تصريف الأفعال والأسماء، في ضوء أساليب القرآن ص، 403 و405 محمد سالم محيسن، مط، دار

الكتاب العربي، بيروت، ط، 1، 1987م

2 - نفسه. ص، 401 و402 محمد سالم محيسن.

كتاب الإمتاع والمؤانسة (أبلغ أفضل أحسن أجزل) حيث ذكر التوحيدي أصدقاء الوزير ووصفهم بدقة؛ ومنهم: مسكويه، والأهوازي.

وهناك أسماء تفضيل اشتركت فيها الذوات في الصيغة نفسها في مثل (أحب وأطيب وأشرف وأرق) استعملها التوحيدي في الوصف بهدف التمييز بين رفقاء الوزير.

الظروف

الظرف، كلمة تدل على معنى صرفي عام، هو الظرفية الزمانية، أوالمكانية؛ وهو من حيث المبنى جامد. وجاء في تعريفه المعجمي (الظرف والمفعول فيه هو اسم منصوب على تقدير حرف جر "في" يذكر لبيان زمان الفعل أو مكانه)¹ ومن ثمة، فهو قسمان: ظرف زمان وظرف مكان، ثم يقسم كل من الزماني والمكاني إلى مبهم ومحدد² ومن تعاريفه أيضا أنه اسم جامد لا يتصرف، وليست له صيغ خاصة³ فهو حر طليق يتكيف مع الظروف، ومن ثمة كان ظرفا.

الظرف تحديد لحادثة زمانية أو مكانية. ومن ثم فهو زيادة على اسميته، فهو يوحى بالحدث، ومن ثمة، كان الظرف الزماني هو (ما دل على وقت وقع فيه

1 - معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص، 581 محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، مط،

دار العودة بيروت لبنان، ط، 1982م

2 - نفسه، ص، 581، باختصار.

3 - مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص، 169.

حدث، في مثل: قدمت من سفري ليلاً،— أي في الليل — أو ظرف المكان وهو ما دل على مكان وقوع الحدث. في مثل: وقفت أمام منبر الخطيب¹ ومن ظروف المكان الواردة في كتاب الإمتاع والمؤانسة (بيت، دار، قصر، دكان) وهناك ظروف الزمان المحددة غير المقيسة، جاء منها في الإمتاع: (الليل، والفجر، والنهار، والصباح، والظلام) ولما كان الحديث يدور حول ليالي الأنس، فمن الطبيعي أن يشيع ظرف الزمان أكثر من غيره، ويكون له جوه وأهله وآلاته.

أسماء الآلة

الآلة هي وسيلة الإنجاز والتحقيق لكل عمل، وهي والعمل يتقابلان ويتقاطعان، إذ أن لكل عمل وسيلته، ولكل وسيلة عملها، والعبرة بمن يحقق الهدف المنشود، بأقل جهد، وفي أقل وقت. وهنا يتدخل ظرف الزماني من جديد. ومن أسماء الآلة التي وردت في الإمتاع (المصباح، الكأس، العود)² وللجميع دلالاتها المختلفة في المعنى، المجتمعة حول تحقيق الأنس على ضوء المصباح، وإيقاع الأوتار، وارتشاف الكؤوس؛ وغالبا ما يحدث هذا في جنح الليل، مع صحبة من النقباء، والبعد عن أعين الرقباء.

ويبين مما سبق، أن التوحيدي لم يكن يحضر مواضيع جلسات، أو ينتقيها، وإنما كانت تحت طلبات الوزير وأوامره، وذلك بحسب ما يقتضيه الموقف والحال؛ ومن ثم، كانت سياقية. ولهذه الرؤية نعقد الفصل الرابع الأخير من هذا البحث، تحت عنوان دلالة الأنس في السياق.

1 - معجم الشامل في علوم اللغة ومصطلحاتها ص، 581.

2 - الإمتاع والمؤانسة، ج. 3.

الفصل الرابع

دلالة الانس في السياق

استهلال

سبق الحديث في مدخل هذا البحث عن المجالس الادبية، والفنية التي كانت تقام في القرن الرابع هجري، وكيف صار لكل امير مجلس ادباء يانس له، ويسامره كما قدمت مفهوما للانس والإمتاع لغة واصطلاحا.

وفي الفصل الاول درست دلالة الانس في المفردات، وفي الفصل الثاني تناولت دلالة الانس في التراكيب ، وعقدت الفصل الثالث لظاهرة التبدلات والتحويلات المتمثلة في المشتقات، وفي الفصل الرابع، ساوسع اهتمامي على دراسة دلالة الانس في السياق، واتعمق في مظاهر الفكاهة، والضحك التي طبعت حياة المجتمعين في تلك المجالس. خاصة الوزير الذي يستمع لليالي ابي حيان، ويطالبه بذكر الملح، والابيات الشعرية التي تشرح النفس، وتؤنس القلب، والنوادر التي تبعث على الضحك والفرح.

إن الضحك طبيعة في الإنسان، والفكاهة استعداد متاصل، وهي من الكلمات التي يصعب على الباحث الوقوف على تحديد مفهوم واضح لها، ولكن يمكن اعتبارها تشمل كل هذه السلوكيات: الدعابة، المزاح، التهكم، السخرية، النكتة والهزل.

وتأتي السخرية في صدارة انواع الفكاهة؛ حيث يقول شوقي ضيف:
(...والسخرية ارقى انواع الفكاهة، لما محتاج من ذكاء، وخفة، ومكر، وهي لذلك
اداة دقيقة في ايدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات،
ويستخدمها السياسة للنكاية بخصوصهم)¹؛ فالسخرية سلوك مفضل لدى رجال
السياسة للتهمك والسخرية من منافسيهم، وحتى الكتاب والفلاسفة ينتهجون نفس
السلوك الذي يتطلب الذكاء والفتنة.

لقد كان العرب يحبون الضحك، ويهشون للضحكين فسموا ابنائهم باسماء
خاصة كالضحاك، وبسام، وبشر، وجدلان، وفرحان. كما كانوا يمدحون الرجل
بانه ضحوك السن، بسام العشيات² هش الضيوف، وإذا ذموا الرجل قالوا:
عبوس، وهو كالح³، وهو قطوب⁴ وهو شتيم اخيا⁵ وهو مكفهر⁶ وهو كرية
ومقبض الوجه⁷ وحامض الوجه، وكانما وجهه بالخل منضوخ.

1- الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص35، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
1970 م.

2-العشيات: كناية عن كرمه، وترحيبه بالضيوف إذا جاؤوا يتعشون عنده وقت العشاء.

3- كالح:

4-قطوب: زاو ما بين عينييه.

5-شتيم اخيا: كرية الوجه.

6- :

7- بَضُ الوجه: مقطب، ينظر الفكاهة في الادب اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص21 هضبة
مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.

ومن معاني الفكاهة في اللغة المزاح، ويقال هذا رجل فكه؛ أي طيب النفس، وفكهم بملح الكلام؛ أي اطرفهم، والاسم الفكاهة والفكاهة¹ كما أن المزاح نقيض الجد، والفكاهة تعني الهزل والهزلة، وأما التهكم فهو الاستخفاف والاستهزاء والعبث.

إن الفكاهة هي كل باعث على الضحك من فنون القول؛ لكن هل نضحك من كل أمر مثير للضحك بغض النظر عن مصدره وملاساته؟ نقول لا؛ لأن الذي يضحكنا لا بد أن يكون إنسانياً؛ أي من إنسان إلى إنسان، أو عن إنسان، علماً أن الفلاسفة عرفوا الإنسان بأنه حيوان ضاحك.

وقد لجأ الكتاب في أسلوبهم المسرحي إلى الفكاهة، فالفوا مسرحيات تبعث على الضحك، وصنفت في خانة المسرح الهزلي، لكن المضحك، عليه أن يتجرد من انفعالاتنا وعواطفنا كالرحمة والشفقة مثلاً؛ لأن الكلمة المضحكة أو المنظر المضحك لا يضحكنا إلا إذا كانت نفوسنا خالية، هادئة وغير مبالية، وإلا إذا نظرنا إليه بعين العقل لا بعين العاطفة.

وإذا كنا قد نضحك مما يبعث فينا عاطفة أو انفعالا، يتجه مثير الضحك إلى عقولنا أكثر من اتجاهه إلى عواطفنا (أما النفوس المتأثرة دائماً، المتصلة باوتار الحياة؛ فإنها تهمز للحوادث هزات عاطفية، ولذلك لن تعرف الضحك ولن تفهمه)

فالفضح له علاقة مع العقل والنفس حين تنفعل العاطفة اثناء الضحك يثار العقل
بجزات عجيبة.

دلالة الفكاهة العربية

إن الخطأ السائد في واقعنا هو النظر إلى الفكاهة، كوسيلة للترويح عن النفس، والإضحاك لكن الفكاهة بجمع دلالات جديدة، بالتأمل والدراسة، واللغة العربية غنية بالكلمات الدالة على الضحك، والفكاهة، والسرور منها¹ البشر: الوجه، ويقال: بشر فلان فلانا وابشره، والبشر والبشارة، والرجل بشير ومبشر، والبشاشة فهي: البش أي طلاقة الوجه، والإقبال على من أحبك، والضحك إليه، ويقال الرجل بش وباش، والطرب: خفة تعتري الفرحان وقد طرب لكذا، ويقال استطرب إذا طلب الطرب، وهو طرب وطروب ومطراب، والفكاهة والفكاهة: الإطراب بملح الكلام، والدعابة، ورجل فكه وفاكه ومفاكه، والهش والهشاشة والهشاش: الارتياح والخفة، والهشيش: من يفرح إذا سئل، وهشش فلان فلانا: فرحه، والمتهششة: المرأة المتحبة إلى زوجها والفرحة وللضحك مراتب وحالات، وأول مراتبه هي الابتسام والتبسم. ثم الإهلاس ويعني إخفاء الضحك، أو الضحك في فتور، والضحك فوق التبسم، أو الضحك باستهزاء يسمّى بالهشوف، والهناف، والهناف، والمهانفة، وقد خصّ به بعضهم ضحك النساء.

وجاءت الفكاهة للتهذيب والتقويم، والإصلاح بنقد مواقع النقص، والخطأ بجرأة هزلية بعيدا عن الهجاء، وترتبط الفكاهة بالمجتمع لذلك فالإنسان وحده لا يستطيع الضحك مهما يكن مبعث الضحك قويا، فقد يبتسم وحده ولكنّه لا يقهقه، لكن إذا كان في جماعة من الناس ضحك وقهقه حتى وإن كان مثير الضحك

1- القاموس المحيط للفيروزآبادي، وفقه اللغة للثعالبي.

اضعف بكثير مما لم يضحكه وهو منفرد، فالضحك سلوك اجتماعي في حاجة
اشترك¹"

ويؤكد الجاحظ هذا بقوله: (ضحكت قط كضحكي تلك الليلة، ولو
كان معي من يفهم طيب ما تكلم به محفوظ النقاش لاتي علي الضحك او لقضي
علي، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الاصحاب)²
فالإنسان الوحيد لا يمكن ان يضحك وحتى وإن فعل لا يستسيغ ضحكه، ولو لمخنا
شخصا وحيدا يضحك سنقول عنه لا أول وهلة انه مجنون.

ووافق برجسون راي الجاحظ؛ فالضاحك يحتاج إلى متجاوبين معه ليشاركوه
الضحك إذ يقول: (لأننا لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة، والضحك في
حاجة إلى صدى)³ حيث ان التجاوب مع الضاحك قد يطيل فترة الضحك،
ويضفي عليها جزء شذرات من الانس.

ولا يخفى على احد، ان الضحك يزيح عن النفس البشرية الهموم التي محل بها
وحسب " فإن الإنسان يستنفذ بالضحك ما يتجمع عنده من طاقة حيوية
زائدة، لكن ليس هو الوسيلة الوحيدة إذ هناك وسائل اخرى بسيطة تجعل الضحك
بالنسبة لها امرا معقدا.

1- الفكاهة في الادب اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص09.

2- نفسه، ص10.

3- ص، س.

وما يثير فينا الضحك حسب " " لا يخلو عادة من نقص في تركيبه، او تشويه يحط من قيمته في نظرنا الشعور الفجائي بالاستعلاء والسمو دونه، واما "مكدوجل" فابرز فوائد الضحك الجمّة كحدوث تفاعلات نفسية، دموية وإفرازية، تساعد على تجديد النشاط الحيوي وتزيل الانقباض النفسي، واهم من ذلك فإن الضحك يغير مجرى التفكير، ويحدده بطريقة تمنع الكابة، والملل، ومحدث الراحة العقلية، وكثيرا ما يؤدي الضحك مفعول الدواء في المريض¹ وعليه، يعتبر الضحك علاجا نفسيا، ومنشطا فكريا، وطاقة تفيد الإنسان.

وقد يجري رجل في الشارع فيعثر ويسقط فيضحك المارة، وهو ما يندرج ضمن السلوكات غير الإرادية التي تحدث بغتة ودون تركيز حسب "برجسون" الذي يعتبر ذلك إنذارا يوجهه المجتمع إلى الفرد المتصلب والمصاب بالالية؛ فلا مناص إذن من توجيه إنذار بالحركة او بالإشارة او بالكلمة، وما هذا الإنذار إلا الضحك فنحن نضحك منه ومن امثاله؛ لانهم مصابون بالالية والتصلب، والمجتمع ينفر من التصلب بانواعه²

وهناك بعض العيوب الجسدية والنفسية التي تثير الضحك، فمنظر الاحدب قد يضحك؛ لانه يبدو رجلا ساءت وقفته، وكان ظهره تعود هذا الاحناء، وبرع العرب في تصوير العيوب الجسدية بالمبالغة، والتضخيم كما في العيوب الخلقية بهدف الإصلاح، واساس التهكم المرح النفسي عند المتكلم وبراعته في تصوير الفكرة تصويرا فكها يعث على الضحك وجاء على لسان ابن الخلال البصري انه سمع

1- الفكاهاة في الادب العربي، فتحى محمد معوض ابو عيسى، ص18

2- نفسه، فتحى محمد معوض ابو عيسى، ص19.

دجاجة المخنث يقول لآخر: (إنما انت بيت بلا باب، وقدم بلا ساق، واعمى بلا عصي، ونار بلا حطب، وهر بلا معبر، وحائط بلا سقف)¹ بمعنى ان هذا الشخص غير مكتمل الاخلاق، وتبدو دلالات كثيرة تنحصر في عيوب خلقية كالشر، والبخل، والاعتماد على الاخر، وحامل الضغينة بنبرة فكاهية.

وعن الضحك قال شوقي ضيف: ان الناس يضحكون دون ان يعرفوا لماذا يضحكون، وهو ضحك يريح اعصابهم، ويشرح صدورهم، ويقوم اخلاقهم، ويشعرهم بشيء من الصلة فيما بينهم، ويجعلهم يحافظون على تقاليدهم، واوضاع مجتمعهم، ويربي فيهم ملكة النقد، ويوقظ فيهم التنبيه إلى اخطائهم، واغلاطهم²

وبالإضافة إلى فائدة الضحك النفسية، له انعكاس إيجابي على العقل من حيث تنشيطه ملكة النقد، وإبداء الرأي بطريقة هزلية، وهناك حادثة واقعية تروي حكاية سيدة عاقر، كانت تتردد على عيادة احد الاطباء النفسانيين، وكانت لفرط باسها وقنوطها قاب قوسين او ادنى من المرض العقلي، ولم ينجح الطبيب في علاجها عن طريق التحليل النفسي، فاتفق معها على ان تروي له قصة مضحكة كلما جاءت للزيارة، وكان تنفيذ هذه الخطة عسيرا في البداية، ولكن السيدة اخذت بجد فيها شيئا من اللذة، وقبل ان ينتهي علاج تلك المرأة على هذه الطريقة، كانت المريضة قد ولعت بجميع الحكايات، وبرعت في روايتها، وهكذا رذت الفكاهة إليها بشاشتها وسعادتها³

1- الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص59.

2- الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص، 20

3- ص، 22.

وإن كان الضحك يلقي على الواقع ستار اللاواقعية، ويرفع عن هموم الحياة ما فيها من جدية، فإنه يهون على الإنسان عبء الحاضر، ويعدده لمواجهة المستقبل بروح البشر، والترحاب، وللضحكة مفعول سحري في شفاء النفس العليلة، والمثخنة بالجراح.

الفكاهة عند السلف

كان الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" يضحك حتى تبدو نواجذه، ومن مزاحه "صلى الله عليه وسلم" قوله لامرأة من الانصار: الحقي زوجك ففي عينيه بياض، فنال منها الرعب وسعت نحو زوجها فقال له: ماذا دهاك؟ فقالت: قال لي رسول الله "صلى الله عليه وسلم": إن في عينيك بياضا، فقال: إن في عيني بياضا لا يسوء¹ فقد كان الرسول "صلى الله عليه وسلم" من افكه الناس، ويجب الإشارة هنا إلى ان مزاح النبي "صلى الله عليه وسلم" كان مما يليق بجلالة النبوة وقدسيتها الرسالة، وكان لايقول إلا الحق. ولذلك احتذى صحابته حذوه، وتعلموا منه؛ باعتباره القدوة والهدى، والنور لامته على مرّ الاجيال.

واشتهر علي بن ابي طالب بدعابته وحبّه للفكاهة وهو الذي قال: (والنفس مؤثرة للهوى، اخذة بالهويني، جاححة إلى اللهو، طالبة للراحة، فإن اكرهتها انضيتها، وإن اهلتها ارديتها)² كما كان ابو هريرة كثير المزاح والدعابة، وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه، ومن الفقهاء والشعراء والفرسان ورد في الاثر ابو الاسود الدؤلي، وابو دلامة، وعبيد الله بن محمد المشهور بابن ابي عتيق، والاعمش

1- الفكاهة في الادب ، اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص25.

وهو ابو محمد بن سليمان بن مهران الاسدي، والاصمعي، والحسن بن وهب، وهشام بن عبد الملك.

الامراء يتفاكهون

لقد اهتمّ الامراء والحكماء، بالمضحكين الذين يفاكهون في المجالس، حيث يذكر جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي: ان الامراء كانوا يجالسون المضحكين، ويقطعون معهم اشواطاً من اوقاتهم، ويقضون معهم اوقاتاً مريحة، إذ اشتهر من هؤلاء اشعب في عهد بني امية، والخلع الدمشقي في أيام الرشيد، وابو العبر في زمن المتوكل... ثم يذكر في اعقاب ذلك ان بعض الخلفاء كان إذا استخفهم الطرب، كلف هؤلاء المضحكين ما لا يطاق من الوان العذاب؛ فقد كان المتوكل يتخذ ابا العبر سخرياً له، يرميه بالمنجنيق في الماء؛ ثم يطرح الشبكة فيخرج كما يخرج السمك؛ ويضحك من ذلك¹ ويطارد الناس الهموم بدوائها الناجح المتمثل في الفكاهة والضحك. وقد صدق المتنبي حين قال:

والهمّ يخترم الجسيم بحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم²

ومن هنا يتبين مدى التأثير السلبي للهموم على نفسية الإنسان، فهي حسب الشاعر المتنبي، تنحف الجسم، وتشيب الصبي. كما قال ابو تمام في عمرو بن طوق التغلبي:

الجدّ شيمته وفيه فكاهة طوراً ولا جدّ لمن لم يلعب³

فحتى الجدّ يستوجب توافره على ما يخفف عن القلب، ويرفه عنه.

وقال ابو الفتح البستي:

1 - يراجع الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص 49.

2 -

3 - نفسه، ص 50.

أفد طبعك المكود بالهمّ راحة فليلا، وعلله بشيء من المزج
ولكن إذا اعطيته المزج فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح¹

ويعني هنا، ان للمزاج حدودا، وبمجرد تجاوز الحد يتحوّل إلى إسفاف.
ولذلك، كان من الواجب احترام المقدار في المزاج، مثل ذلك مثل الملح مع الطعام.
إن زاد عليه افسده. وكل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده.

التهكم بالبخل

وقد جاء في الليلة الثامنة عشر من كتاب الإمتاع والمؤانسة ان الرشيد قال
لمجماز: (كيف هي مائدة محمد بن يحيى، ويعني اليرمكي، قال: شير في شير،
وصحفته من قشر الخشخاش، وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة، وبين اللون
واللون فترة نبي، قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون، فضحك وقال: لحاك
الله من رجل)² وورد التهكم هنا في وصفه للمائدة بالصغر، والضيق، وفي وصفه
للصحفة؛ اي الصحن بالرداءة والخشونة والصغر، وفي وصفه للرغيف بالقليل
والمبتاعد، كما ان اصناف الطعام بجيء على بطيء، وشبهها بفترة نبي لطول الانتظار،
والترقب، وعندما ساله الرشيد عمّن يحضر هذه المائدة، اجابه بانهم الملائكة
الموكلون بعد الذنوب والحسنات، ولا يحضرها احد من الناس، ولا يشهدا إلا
الملائكة الذين لا ياكلون، ولا يشربون، وهذا تمكّم على شدة بخل اليرمكي.

1 - الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص50/51.

2 - الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص58.

والتهكم لون من السخرية، يراد به نسبة عيب إلى شخص، أو تفخيم عيب في شخص، وسيلة إلى تهذيبه، وإصلاحه ليخاف المعني ذلك العيب إن لم يكن فيه، وليبرا منه كله أو بعضه إن كان فيه، فهو نوع من الزجر والردع برغبة الإصلاح، وهو وسيلة للسخرية من الحمقى، والاشرار، والبخلاء؛ لان سخريتنا بهم وضحكاتنا بهم يخفف من غيظنا، وغضبنا عليهم.

واما الفرق بين التهكم والهزاء، فهو ان الهزاء صادر عن نفس واحدة، غاضبة وحاقدة، ويصدر التهكم عن نفس ساخرة ناقدة، وغير حاقدة، والغرض من الهزاء التجريح والتشهير، بينما الغرض من التهكم التهذيب والتقويم¹ فالفرق

السخرية من السلوك

سخر التوحيدى متهكما على الصاحب بن عباد فى قوله: (...وهو فى كل ذلك يتشاكى ويتحايل، ويلوى شدقه، ويتلع ريقه، ويرد كالأخذ، وياخذ كالمتنعم، ويغضب فى عرض الرضى، ويرضى فى لبوس الغضب، ويتهالك ويتمالك، ويتقابل ويتمايل، ويحاكى المومسات...) ² فالتوحيدى هنا يعبر بسخرية على سلوكات وتصرفات الصاحب، واصفا إياه بالمتحايل حتى فى شكواه، كثير الانفعال، وسريع الغضب والهدوء فى الوقت نفسه، يزجر فى الآخر ثم يتراجع معترفا بخطئه، وفى المجلس يقعد مستويا، ومستقبما لا يميل إلى ناحية ما، وهو كثير الكلام مع المومسات؛ اى العاهرات، وهذا التهكم الساخر يدفع بالسامع إلى الضحك من وصف التوحيدى لحركات الصاحب بن عباد المماثلة لالة تتحرك ميكانيكيا.

1-يراجع الفكاهة فى الادب اصولها وانواعها ، ص177.

2-الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص59.

وفي السياق ذاته حدثنا التوحيدى عن شاب زاحم شيخا في طريق، ثم سخر منه قائلا: (كم ثمن هذا القوس؟ فقال الشيخ: يا بني إن طال عمرك فإنك مشتريه بلا ثمن)¹ وهنا سخر الشاب من الاحناء المميز للشيخ لفرط الكبر، وتهكم عليه واصفا شكله بالقوس، وسائلا إياه عن ثمنه، لكن الشيخ وبتروي كان بارعا وحكيما في إجابته التي تؤكد ان الشاب سيصل إلى هذه المرحلة، إن عاش عتيا، وسيشتري القوس المنحني مجاناً.

ومن الطرف التي وردت في كتاب الإمتاع والمؤانسة ان اعرابيا سائل ق فقال لاحدهم: (ما اسمك؟ قال: مانع، وقال الاخر: ما اسمك؟ قال: محرز، وقال : ما اسمك؟ قال: حافظ، قال: قبحكم الله ما اظن الاقفال إلا من اسمائكم)² فقد عبر عنهم كأنهم الاقفال؛ ساخرا من اهل المنع والشح.

روى التوحيدى في موضع اخر عن ابن سيابة من انه حضر جنازة بمصر، فقال له بعض القبط: يا كهل من المتوفي (بكسر الفاء) فقال: الله عز وجل، فما كان منهم سوى ان اهانوا عليه ضربا، حتى كاد يموت³ ولعل الطريف في هذه القصة، هو ان ابن سيابة تعرض لحملة تاديبية بسبب الحركة المتمثلة في الكسرة؛ اي الفاء المكسورة، والفاء المفتوحة لما اقدموا على فعلتهم، إذ ان المتوفي هو الخالق الذي

1- البصائر والدخائر لابي حيان التوحيدى، تحقيق ونشر احمد امين، والسيد احمد صقر، لجنة التأليف والترجمة، والنشر 1953م.

2- الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص57.

3- البصائر والدخائر، ص151.

يصطفي إلى جواره من شاء من عباده، والمتوفى (بفتح الفاء) هو المخلوق الذي يوافيه الاجل. لكنّ صاحبنا على ما يبدو قد تعرض لضرب مبرح كاد ان يهلكه، وتصنّف هذه الحادثة ضمن النكتات اللفظية .

شغف ابو حيان بمؤلفات الجاحظ، وتصانيفه فواكب على دراستها، ويكفي انه الف كتابا موسوما بـ (تقريظ الجاحظ)، وامام فرط تاثره به لقب بالجاحظ الثاني.

وقد احتلت النكتة العقلية من ادبه -حسب النقاد-

بالبراعة في هذا اللون المتمثل في الهزل والفكاهة، وهذا لكونه فيلسوفا، ولو تأملنا ما اورده عن (رجل ضرير جاب شوارع اصفهان يسأل الناس، واعطاه مرة إنسان رغيفا فدعا له قائلا: احسن الله إليك وبارك عليك، وجزاك خيرا، وردّ غربتك، فقال له الرجل: ولم ذكرت الغربة في دعائك، وما علمك بالغربة؟ فقال: الان لي هاهنا عشرون سنة، ما ناولني احد رغيفا صحيحا)¹ فالتوحيدي هنا جعل من هذا السائل الذي يقصد الناس فيلسوفا، فيغتتم الفرصة المناسبة ليعبر عن سخطه، ويندد بتصرفات من يعاشرهم، شاكرا الرجل على سخائه وكرمه، وبتعبير ساخر يتلفظ الجدل.

ويؤكد صاحب الفكاهة في الادب العربي (ان التوحيدي ساير استاذه الجاحظ في الحديث عن البخلاء، وتاليف النوادر عنهم، وفي الوقت نفسه معترفا بسبق استاذه في هذا المجال)² ويكشف عن سبب خوضه هذا الغمار قائلا: (إن الجاحظ قد اتى

1-الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص28.

2-الفكاهة في الادب العربي، ص223.

على جمهور هذا الباب، إلا ما شذ عنه مما لم يقع إليه، فإن العالم وإن كان بارعاً، ليس يجوز أن يظن به، أنه قد احاط بكل باب، أو بالباب الواحد إلى آخره على أنه حدث منذ عهد الجاحظ إلى وقتنا، هذه أمور وأمور، وهنات وهنات، وغرائب وعجائب؛ لأن الناس يكتسبون على رأس كل مائة سنة عادة جديدة"¹.

نوادير أهل الشراة

نقل التوحيد الكثير من نوادر الطفيليين، وأهل الشراة في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ويسرد لنا قصة طفيلي شره دخل على قوم يستانسون بالغناء فقال لهم: (والله ما أجد شيئاً من المتعة فيما أنتم فيه؟ فقال له أحدهم: قصدت إلى أرق شيء خلقه الله، والينه على الأذن والقلب، وأظهره للسرور والفرح، وانفاه للهم والحزن، فدممته؟ فاجاب الرجل: أما أنا فالطعام الرقيق أعجب إلي من الغناء وجعل يذم الغناء، فقدموا له من الطعام ما صرفه عن الانشغال بدم الغناء)².

وهنا كان تقديم الطعام للرجل الشره وسيلة للكف عن ذم الغناء، والتفرغ للاكل، وينطبق عليه المثل الشعبي القائل: أملاً له فمه ينسى أمه. وحدثنا عن رجل كان ياكل بالعين والفم واليد والرأس والرجل، حتى لو سألته عن اسمه لما ذكره، ولو طلع ولده الغائب لما عرفه، وانشد:

يلعب بالخمسة في قصعة لعب أخي الشطرنج بالشاه.

1- الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص03.

2- نفسه، ج3، ص80.

والخمسة هنا هي اصابع اليد. ومن اطرف هذه النوادر ما ورد على لسان اعرابي، يعرف الشبع تعريفا لطيفا حيث قال: (..ما وجدت العين، وامتدت إليه اليد، ودار عليه الضرس، واساغه الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوست منه الاضلاع، والتوت عليه المصارين، وخيف منه الموت)¹ فقد تم وصف الشبع بتراكيب موضحة للمعنى الحقيقي له، فالشبع يمر بمراحل ليتحقق عندما تلمح العين الاكل مرورا بالمضغ، وصولا إلى البلع، والرسو في المعدة.

الحب في المعدة

يحكي التوحيد في هذا الصدد قصة الغرام التي جمعت بين رجل وجارية، كانت عند قوم يتميزون ببسطة العيش، وكان الرجل كلما اتاه بعض الضيوف، ارسل إليها ان تمده بهم، فتنفذ رغبته، وتلي كل طلباته، وتمده بما طلب، وحدث مرة ان كتب لها (جعلت فداك عندي اليوم اصحابي، وقد اشتهيت)² بقرية او رؤوسا سمانا، فاحب ان توجهي إلينا بما يكفينا ودستجة³ نبيذ لتغدي، ومشرب على ذكرك، فلما وصلتها الرسالة، بعثت إليه ما طلب، ثم ارسل إليها يوما اخر: (فدتك نفسي، إخواني مجتمعون عندي، وقد اشتهيت قلية جزورية فوجهي بما إلي، وما يكفينا من النبيذ والنقل، ليعرفوا مترلي عندك، فوجهت إليه بكل ما سال، ثم كتب إليها يوما اخر: (جعلت فداك، قد اشتهيت انا واصحابي رؤوسا سمانا، فاحب ان توجهي إلينا بما يكفينا، ومن النبيذ بما يروينا،

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج،3، ص81.

2 - مرق يصنع من اللحم والخل/عن الإمتاع.

3 -دستجة: إناء كبير من زجاج، وبالفارسية يسمى دستة/عن الإمتاع.

فكتبت الجارية عند ذلك: إني رايت الحب يكون في القلب، وحبك هذا ما يجاوز المعدة، وكتبت اسفل الرقعة:

عذيري من حبيب جا عنا في زم من الشدة
وكان الحب في القلب فصار الحب في المعدة¹

والطريف في هذه القصة الغرامية العجيبة، ان الجارية ضجرت من كثرة طلبات حبيبها فعبرت عن ذلك بإنشادها الساخر، وانتقلت فجأة من امور النفس إلى امور البدن، ومن سمو الروح إلى مادية الجسد، وكان المعدة قد احتلت مكان القلب، وهنا يوجد تناقض يلمس من خلال السياق، حيث تكمن الطرافة في تغيير مكان الشعور بالحب، وتزحزحه من القلب نحو المعدة.

الحاكم والمطبخ

لم ينس ابو حيان من خلال حديثه عن الشراهة، ان يشرك الحيوان ايضا في حب الطعام حيث يروي على لسان اعراي انه سمع دابة تعتلف في جوف الليل فقال: (إني لاراك تسهرين في مالي والناس نيام، والله لا تصبحين عندي وباعها)² ويبدو ان هذا الاعراي به سمة من البخل، فخشي على علفه من النفاذ، ولذلك اقسام على بيع دابته.

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص09/08.

2 - نفسه، ج03، ص33.

وللشعب دور إيجابي في قضاء حوائج الناس، حيث يحكي عن مسلم بن قتيبة، أنه كان لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطعام الطيب، ويروى من الماء البارد ويقول: (إن الجائع ضيق الصدر، فقير النفس، والشبعان واسع الصدر، غني النفس)¹ فالإنسان الذي اكل وشرب حتى ارتوى يكون اشرح نفساً من الجائع الذابل والمهموم.

وفي جلسة اخرى، سئل اعرابي إن اصبح يوماً حاكماً ما صنعه، فاجاب بسرعة فاحاً الباب نحو متعة الاكل والطهي حيث قال: (كنت استكفي شريف كل قوم ناحيته ثم اخلو بالمطبخ، فامر الطهارة فيعظمون الثريدة، ويكثرون العراق، فابدا اكل لقما ثم اذن للناس، فاي ضياع يكون بعد هذا)² وهنا يرى الاعرابي: ان الحكم العادل لا يتحقق إلا بإشباع الرعية من كل انواع الاكل اللذيذ، وكان البطن اسبق من كل شيء عنده.

وقال الاصمعي ان ابن هبيرة قال: تعجيل الغذاء يزيد في المروءة، ويطيب النكهة، ويعين على قضاء الحاجة. ويروي التوحيدي عن قول بعض العرب: (اطيب مضغة اكلها الناس صيحانية مصلبة)³ والصيحاني تمر المدينة، اسود اللون، وصلب المضغ، واما المصلب هو الذي خلط بالصليب، وهو الودك، وهذا مثل يضرب للمتلاثمين والمتوافقين.

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج 03، ص 09/08.

2 - نفسه، ج 03، ص 35.

3 - نفسه، ج س، ص 39.

حدود الشبع

حوت الليلة الواحد والثلاثون احاديث طريفة عن حدود الشبع، والسؤال المطروح في المجلس: ما حدّ الشبع؟¹ وكل المجيبين، وباختلاف مهنتهم ورتبتهم كانوا حريصين على ضرورة محقق اللذة التي تبعث على الراحة إلا في رد الصوفي الذي قال: ما نشط على اداء الفرائض، وتبّط على إقامة التوافل. بينما كان راي الطبيب: ما عدل الطبيعة، وحفظ المزاج، وابقى شهوة لما بعد، وجاء رد الملاح: ان الشبع لا يتحقق إلا إذا تمل الاكل من شدة النهم، فلا يفرق بين السماء والارض، ولا الطول العرض، ولا النافلة من الفرض، وهذا بسبب الجهد الكبير المبذول في تناول الطعام، وكان الاكل معركة شرسة، يحدث فيها كسر وقطع. ومن خلال سياق التركيب، نلمس انسا ظريفا خفيفا على الروح.

واما الاعرابي فقال: (اما عندنا في البادية فما وجدت العين، وامتدت إليه اليد، ودار عليه الضرس، واساغه الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوست منه الاضلاع، والتوت عليه المصارين..) وبتواضع اجاب الاعرابي: ان الشبع يتحقق بما هو متوافر، وموجود من الطعام المار عبر الضرس ثم الحلق فالبطن، وهو بجدة المعدة في فترة الجوع.

وجاءت اراء البعض باعثة على الضحك، وتصنف ضمن النوادر، مثلما قال سمرقندي: (الشبع إذا جحظت عيناك، وبكم لسانك، وثقلت حركتك، وارجحن بدنك، وزال عقلك، فانت في اوائل الشبع، وحين سئل: إذا كان هذا اوله فما اخره؟ قال: ان تنشق نصفين؛ اي بمعنى ان الشبع يقسم الجسم إلى شطرين:

علوي وشطر سفلي. وقال يمعي: الشبع ان يحشى حتى يخشى. وقال تركي: الشبع ان تاكل حتى تدنو من الموت. واما سمويه القاص فيعتبر ان من مات بالتخمة فهو شهيد، وهو ربما يقصد به شهيد البطن.

وقال اخر: (احب ان اكل ما مشى حماري من المتزل إلى المتزل)، والشبع عند الجندي هو (ما شد العضد، واحمى الظهر، وادر الوريد، وزاد في الشجاعة) ووصف الجمال الجوع بالعذاب؛ فالجوع قد يؤدي إلى الكفر بالعذاب، لكن الطعام يرحم صاحبه، وكما كانت الرحمة اكثر، كان العبد إلى الله اقرب. وقد استحسن الوزير هذه الاحاديث للاثر الذي تركته في نفسه، ولاحتوائها على اقوال مثيرة داعية إلى الضحك، واسرت في جنباته الراحة.

ملح الانس والتانس

اعتاد التوحيدي في كل ليلة من ليالي الإمتاع والمؤانسة، تقدم ملحة الوداع لمجلس الوزير تلبية لطلبه، حيث كان يقول له: (هات ملحة الوداع) وقد تكون عادة نوادر او ابياتا شعرية، مثلما حدث في الليلة الثانية عشرة، إذ قال الوزير: (انشدني ابياتا ودعني بها، ولتكن من سراة"¹ بجد ليشتم منها ريح الشيخ والقيصوم) فانشده التوحيدي ما قاله اعرابي قديم:

مطرنا فلما روينا هادرت شقائق منها رائب وحليب
ورامت رجال من رجال ظلامه وعادت دحول بيننا وذنوب
ونصت ركاب للصبا فتروحت لمن بما هاج الحبيب حبيب"².

1 - سراة: سرارة، عن الإمتاع والمؤانسة، ج 01، ص 169.

2 - ج 01، ص 196/197.

فلما اخصبت الارض، وهطل المطر تنمر فريق من الرجال لآخر، وتهيئوا للمحاربة، وكنى الشاعر هنا بتهادر الشقائق: جمع شقشقة وهي جرة البعير، وتهادرت اي تساقطت عن الخصومة بين القوم، وتنمر بعضهم لبعض، ونصت ركاب الصبا؛ اي رفعت اعناقها لريح الصبا تستروحها.

واطلقت على هذه الملح والنوادر الختامية لكل ليلة بالملح التوحيدية، منها الملحة التي ذكرها التوحيدي في ختام الليلة الاولى بعدما قال له الوزير: (هات ملحّة الوداع حتى نفترق عنها، فقال التوحيدي: حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية قال: رايت جحظة قد دعا بناء ليبي له حائطا فحضر، فلما امسى اقتضى البناء الاجرة فتماسكا؛ اي تشاحنا في الاجرة، بعدما طلب البناء عشرين درهما، وهو لم يعمل سوى نصف يوم، فقال البناء:..إني قد بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة، وبينما هما كذلك سقط الحائط فقال جحظة: لا، ولكن كان يبقى إلى ان تستوفي اجرتك)¹ فضحك الوزير كثيرا؛ لان مائة سنة التي قصدها البناء لم تستوفي دقائق، وهذا ما اضحك الوزير، وبعث الفرخ في نفسه.

الظبي الاعفر

ختم التوحيد في الليلة السادسة عشر الجزء الاول من كتاب الإمتاع
والمؤانسة بملحة الظبي الاعفر، فقال على لسان يعقوب صاحب (إصلاح المنطق):
دخل اعرابي الحمام فزلق فانشج، فانشد يقول:

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة
فردت منه (شارياً) شج مفرقي
وما يحسن الاعراب في السوق
يقول لي الانباط إذ انما نازل
فرحت من الحمام غير م
بفلسين إني بئس ما كان متجري
فكيف بيت من رخام ومرم
هي بال صرمة اع¹

فالاعرابي دخل الحمام ليستحم، لكنه خرج منه مشقوق الجبين ودافعا فلسين، وختم
به بشماتة الانباط به الذين يريدون له ان يصيبه مكروه، دون إصابة الظبي الاعفر،
وهو مثل يضرب في الشماتة والاستهزاء بالرجل بتفضيل الظبي الاعفر عليه.

وفي نادرة اخرى قال معاوية لاعرابي: (ما بجارتك؟ قال: ابيع الإبل، قال: اما
علمت ان افواها حرب² وجلودها جرب، وبعرها حطب، وتاكل الذهب)³
هذه الملحة الظريفية تعني ان بافواه الإبل كلب، وجلودها ذات جرب، وبعرها
حطب، او ما يعرف في جهتنا الغربية بـ (الوقيد) وبه توقد النار، وتتجمر كما ان
الإبل تلتهم الذهب، وربما يشبه الكلا بالذهب.

1- الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص226.

2- حرب: اي ذات حرب وهو الكلب واحد وزنا ومعنى.

3- الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص60.

نوادير المجانين

اعتمد التوحيدى فى لىاليه على ذكر نوادر المجانين؛ لإضفاء المتعة على المجلس، وجاء فى الليلة الواحد والثلاثين ما يبعث على الضحك والاستئناس من حديث جرى بين المجانين، فاضحك الوزير حيث حكى فى معرض حديث ابى بكر¹ قال كتب مجنون إلى مجنون: (بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله، وابقاك الله، كتبت إليك ودجلة تطغى، وسفن الموصل هاهي، وما يزداد الصبيان إلا شرا، ولا الحجارة إلا كثرة، فأياك والمرق فإنه شر طعام فى الدنيا، ولا تبت إلا وعند راسك حجر او حجران، فإن الله يقول: واعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

قال وكتب مجنون اخر إلى مجنون : (وهب الله لي جميع المكاره فيك، كتابي إليك من الكوفة حقا حقا حقا، اقلامي نخط، والموت عندنا كثير، إلا انه سليم والحمد لله، احببت ليعرفه إعلامكم ذلك إن شاء الله)، وكان هذا المجنون تنبا بما سيحدث للعراق، وما سيتغير ببلاد الرافدين قال: (واقلامي نخط والموت عندنا كثير) لكن الجملة الاستثنائية-إلا انه سليم والحمد لله- معناها يبعث على الضحك، فليس هناك موت سليم، وموت غير سليم، ونستشف هنا سخرية بارعة من الموت.

وكتب مجنون اخر: (ابقاك الله من النار، وسوء الحساب، وتفديك نفسى موقفا إن شاء الله)² المجنون يخاف الله، وسوء حسابه لعباده، ويدعو لاحدهم بان يقيه الله من نار جهنم اثناء يوم الحساب بل ونفسه فداء له، وهذا ما نلمسه عند العقلاء فحقا: (خذ الحكمة من افواه المجانين)، وقد استانس الوزير بهذه النوادر

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص204/203.

2 - ج 02، ص204.

حيث استطرف حديث المجانين، وضحك حتى استلقى قائلاً: (ما الذي يبلغ بنا هذا الاستطراف إذا سمعنا بحديث المجانين؟)¹ فكان التوحيدى ميالا إلى الهزل والفكاهة للترويح عن الوزير، ومجلسه، وجعل الليالي التي كانت بجمعهم ليال للمتعة والاستئناس لغويا وحسيا.

البطون الانانية

ومن نوادر اهل الشراة في الطعام، ما ورد عن ابي الحسن انه قال: (لي ابنة مجلس معي على المائدة، فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنها جمارة، فلا تقع عينها على اكلة نفيسة إلا خصتني بما فزوجتها، وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز لي كفا كأنها كرنافة، في ذراع كأنها كربة، فوالله إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها)² الرجل يعاني من قلة حصته في الاكل وبعدهما نخلص من ابنته بتزويجها، بعدما كانت محرمه من اللقمة الهنيئة اللذيذة، اصطدم بابنه الذي كما وصفه ابوه بأنه شره، وله كف تشبه الكرنافة؛ وهي اصول الكرب التي تقع في جذع النخلة بعد قطع السعف، وذراعه كأنها كربة؛ وهي اصول السعف العراض التي تقطع منها، فالاب اناني في الاكل ويفضل الجلوس لوحده على المائدة حتى يشعر بالامان. وفي صورة اخرى يقول معن بن اوس يصف هدير قدر:

إذا التظمت امواجها فكأنها عوائد دهم في المحلة قيسل
إذا ما انتحاه المرملون رايته لوشك قراها وهي بالجزل تشعل
سمعت لها لغطا إذا ما تعظمت كهدر الجمال رزما حين بجفل³.

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص204/203.

2 - نفسه، ج، 03، ص، 14.

3 - ج، 03 ص17.

ويريد القول هنا ان غليان القدر، يحدث حين تلتطم الامواج؛ اي اضطراب كل محتوى هذه القدر، ويريد بقوله (عوائد دهم) خيلا سودا حديثا النتاج، القدور بتلك الخيل التي معها اولادها، وعوائد ويروي عواتب، وهي التي تمشي على ثلاثة قوائم، وعقرت رابعتها، فشبه القدر بها لانها توضع على اثاني ثلاث، ويقصد بقوله المرملون الذين نفذت ازوادهم، واما اللغظ فهو النشيش في مرحلة الغليان، محدثة اصواتا كهوور الجمال، والغظمطة هي إحداث اصوات تشبه تلك الصادرة من حلوق الجمال، دون فتح افواهها.

واضفت حلاوة وصف القدر وهي تغلي، انسا على الوزير الذي قال التوحيد في ختام تلك الليلة الواحد والثلاثين: (ما احسن ما اجتمع من هذه الاحاديث، هل بقي منها شيء؟ فردّ عليه التوحيد: بقي منها جزء اخر، فقال: دعه ليلية اخرى، وهات ملحّة الوداع)¹ فالوزير يؤكد لابي حيان استحسانه لما سمع، حتى انه يلزمه بمواصلة بقية الاحاديث في ليلية اخرى، لتبين ان هناك استمرارية نابعة من رضى الوزير على التوحيد فيما يحكيه في المجلس.

نتائج البحث

بعد انتهائنا من هذا البحث ووضعناه امامنا كاملا مكتملا بحسب ما توصلنا إليه فيه، وبعد إعمال إعادة النظر في بنائه والتفكير في ابعاده واهدافه وما لحقق لنا من كل ماتصورناه قبل البدء فيه، ظهر لنا اننا قطعنا في العمل المتصور اشواطا وبقيت خطوات، والكمال .

وعندما وقفنا بعد كل ذلك نتمعن النظر في ما توصلنا إليه من نتائج بدا لنا ذلك في شبه خلاصات لمواقف واعمال واعلام تعاملنا معها خلال البحث وتركت اثرها فينا وذلك ما يمكن جمعه مركزا في النقاط الآتية:

◀ لقد ابرز التوحيدي مواطن الجمال في الكلام الذي يخلق الانس في القلب والعقل باستعمال الالفاظ الرشيقة السهلة الحلوة، و لم تنفصل المتعة عن الانس، فكانتا مفردتان مترادفتين تسيران جنبا إلى جنب.

◀ ظهرت في حديث ابي حيان خصائص نفسية وفكرية تراعي الاخذ بقلب المتلقي، والقلب يرمز إلى الوجدان الإنساني لكي يخاطب عقله ايضا.

◀ د اكد التوحيدي على دور العقل في عملية الخلق والإبداع الفني بعامة، والادبي بخاصة.

◀ كما تميز التوحيدى عن بعض معاصريه فى تحقيق المتعة بإتقان الصنعة التى تعنى عنده مشاركة العقل والذوق معا فى عملية الإبداع الفنى.

◀ كان التوحيدى خفيف الروح، فكه المجلس، طيب النكته، مبدع النوادر العاكسة للحياة الاجتماعية.

◀ حرص ابو حيان فى عمله، على تحقيق العنصر الإيقاعى والموسيقى المثير للقلب والعقل؛ مع التائق فى استعمال السجع وتوثيق الربط بين العبارات.

◀ كشف التوحيدى فى جلساته و ، عن اهمية الحوار الجماعى، وعقد مجالس العلم المؤنسة التى نفتقدها فى حاضر زماننا.

◀ التزم التوحيدى بمقاييس الإبداع، وإبراز خصائص فن القول، من لفظ حسن، واسترسال فى الحديث ذى الإيقاع المؤثر على المسامع، مما يولد المتعة والتالف والانس بين المحدثين والمحدثين.

◀ عمل التوحيدى، على الإكثار من المحسنات اللفظية، وتوظيف التشبيهات التمثيلية، فى خلق جو من الصور البديعية والتصورات الرفيعة.

◀ حدد التوحيدى الاسس العامة لنظرية النظم التى قال بها الجرجاني من بعده التى تقوم على اساس المعرفة العميقة بعلم النحو والتوظيف اللغوى باختيار مواضعه.

◀ كما توسع ابو حيان، في إدخال القاب التعظيم على اسماء الخلفاء
والامراء والعظماء باسماء مفاعيل فصار ذلك سنة
عند غيره.

◀ استطاع التوحيدي ان يوحد بين مختلف توجهات البلغاء وذلك من
خلال ليالي انس جمعت بين الجد والهزل عقد مصالحة بين العقل و
القلب.

◀ اوجد التوحيدي باسلوبه الفكاهي علاقات تفاعلية جمعت بين انتشار
النكت السياسية والحريات السياسية، فكان ذلك حيلة منه لمقاومة الظلم
وانتهاك حرية الراي والتعبير.

◀ لقد ارسى التوحيدي بجلساته ولياليه نظريات في تفسير الضحك تقوم
على الجمع بين ظاهر العبارة وعمق الذكاء، و قوة ناشئة بين تفاعل قوتي
العقل والغريزة في الإنسان.

— ابو حيان التوحيدي. اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء.

زكريا إبراهيم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار
المصرية للتأليف، والترجمة. د.ت.

ابو حيان التوحيدي

إبراهيم الكيلاني، مجموعة نوابع الفكر العربي: رقم 21، دار المعارف،
القاهرة، 1957م.

— الإحكام في اصول الاحكام

سيف الدين الامدي، إعداد، جماعي، مط، دار الكتب العلمية بيروت،
ط 1 1983م.

— الإيضاح في علوم البلاغة.

الخطيب القزويني إعداد عبد المنعم خفاجي مط، دار الكتاب اللبناني
ط 4 1975م.

الإيضاح في علل النحو لابي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق

الزجاجي

مازن المبارك، ط، 2، بيروت، لبنان، 1973.

— الإمتاع والمؤانسة ابو حيان التوحيدي

احمد امين، واحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت صيدا.

— الإمتاع والمؤانسة ابو حيان التوحيدي

إعداد مختار نويوات مط، الجزائر 1989م.

الإنصاف في مسائل الخلاف، بين البصريين والكوفيين

كمال الدين ابو البركات الانباري، إعداد، محمد محيي الدين عبد

الحميد، المطبعة التجارية الكبرى بمصر ط، 1: د.ت.

— اخبار ابي نواس، لابي هفان

محقق، عبد الستار احمد فراج، تح، عبد الستار احمد فراج، مكتبة

: د، ت.

— الإشارات في اصول النظم المالكي

ابن خلف اليازجي، تقديم، محمد الشريف الرحموني، مط، دار ابن

حزم، ط 1 2000م.

— الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة.

محمد بن علي الجرجاني، محقق عبد القادر حسين مط، دار النهضة،

1981م.

— الإشارات والتنبيهات

ابو علي بن سنا، مع شرح نصر الدين الطوصي، محقق سليمان

مط، دار المعارف بمصر ط 1 1960 م.

— الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق

محمد نور الدين المنجد، مط، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر

بيروت، ط 1 1999م.

— الاشباه والنظائر في النحو.

جلال الدين السيوطي. إعداد، فائز ترجيني، مط، دار الكتاب العربي

بيروت ط 1 1984م.

— البصائر والدخائر

ابو حيان التوحيدي محقق ونشر، احمد امين، والسيد احمد صـ

التاليف والترجمة والنشر، بمصر، ط 1 1953.

— جواهر الادب في ادبيات وإنشاء لغة العرب

احمد الهاشمي ، حجازي بالقاهرة ط، 1 1368 هج إعداد، ياسين
الايوبي، مك، العصرية صيدا بيروت، لبنان، ط 1 2000م.

— الجمل ابو القاسم الزجاجي

وشرح ابن ابي شنب، مط، جون كربون الجزائر ط 1

1926م.

— ديوان عمر بن ابي ربيعة

الشركة الوطنية للكتاب، بيروت لبنان، د.ت.

— دلائل الإعجاز في علم المعاني

د القا ر الجرجاني، محقيق، محمود محمد شاكر، مكتبة الخابجي،

ط، 2 1989م.

الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية

صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ط 1 2003م

— دلالات التركيب، دراسة بلاغية

محمد ابو موسى، مكتبة وهبة، 1979م.

— الدلالة اللفظية

محمود عكاشة، مكتبة الاجلو المصرية، ط 1 2002م.

دليل السالك إلى الفية ابن مالك

إعداد، وتعليق عبد الحميد رشواني، دمشق ط 1 1996م.

— ديوان ابي نواس

إعداد، احمد عبد المجيد الغزالي، ط 1 1953م.

— الهوامل والشواهد

ابوحيان التوحيدي، ومسكويه تح، احمد امين، والسيه احمد صقر،
لجنة التاليف والترجمة والنشر، ط 1 1954م.

— وفيات الاعيان

ابن خلكان، محقق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، بمصر،
ط 1 1948م.

— الحروف العربية وتبدلها الصوتية في كتاب

خلفيات

وامتداد

مكي درار منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا ط 1
2007م.

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري

ادم متمر ترجمة، محمد الهادي ابو ريده ط، لجنة التاليف والترجمة
والنشر ط 2 1957م.

— طبقات الصوفية

محقق نور الدين شربية، مكتبة الخاجي، القاهرة، ط 1 1996م.

— تيممة الدهر

عبد الملك ابومنصور الثعالبي، محقق، محمد محيي الدين عبد الحميد،
مط، دار الفكر بيروت، لبنان، ط 1 1974م.

— الكافية الكبرى في علم النحو

الشيخ خليل الاسعدي، محقق إلياس قبلان التركي، مط، دار صادر
بيروت، ومكتبة الرشاد إ بول، ط 1 2007م.

— الكناش في فني علم النحو والصرف

ا. ا. حلب، دراسة وتحقيق، رياض

الخوام، مط المكتبة العصرية بيروت، ط 1 2000 م

— كتاب التعريفات

الشريف الجرجاني، مط الندى الاسكندرية، ط 1 2004 م.

— الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية

ابو البقاء الكفوي، إعداد عدنان درويش، ومحمد المصري. مط، وزارة

الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط، 1 1982 م

— الكتاب

سيبويه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مط، عالم الكتب، بيروت

لبنان، ط 1 1966 م.

— لسان العرب

جمال الدين محمد بن منظور، مط، دار صادر بيروت لبنان. د.ت.

— اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة

حسن ظاظا، مط، دار القلم دمشق سوريا ط 2 1990 م.

اللسانيات التوليدية والتحويلية

عادل فاخوري، مط، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

— المنصف ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، مط، مصطفى

بالي الحلبي واولاده، ط 2 1379 .

— معاني القرآن

ابو زكريا يحيى بن عبد الله الفراء، إعداد، إبراهيم شمس الدين، مط،

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 2002 م.

— المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم

محمد فؤاد عبد الباقي، مط، دار الكتب الحديثة، مصر، ط، 1 1378 .

— محاضرات في علم النفس اللغوي

بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعة، المؤسسة الوطنية

للكتاب، د.ت.

— محاضرات الادباء

الاصبھاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت.

— المغني في علم النحو

الدين الجابري، تح، قاسم الموش، ابو انس دار صادر

بيروت ومكتبة الإرشاد إستنبول، ط 1 2007م.

— مبادئ اللسانيات

احمد محمد قدور، مط، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ودار الفكر

المعاصر دمشق ط 1 1999م.

— معجم المصطلحات النحوية والصرفية

محمد سمير اللبدي مط، امزيان الجزائر د.ت.

— معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها

محمد سعيد إسير وبلال جنيدي، مط، دار العودة بيروت ط 1 1982م.

— معجم مقاييس اللغة

احمد بن فارس تح عبد السلام محمد هارون، مط، دار الفكر، ط 1 1979م.

— مغني اللبيب عن كتب الاعاريب

جمال الدين بن هشام الانصاري، محقيق، مازن المبارك، ومحمد علي

حمد الله، مراجعة سعيد الافغاني، ط 1 1972 م.

— مفهوم الزمن في فلسفة ابي الوليد بن رشد

عبد الرزاق قسوم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الرغبة،
ط 1 1986م.

من اسرار اللغة العربية

إبراهيم انيس، مط، الابلو المصرية، القاهرة، ط 1 1962م.

— المنجد في اللغة العربية والادب والعلوم

الاب لويس معلوف، مط، الكاثوليكية، بيروت لبنان، ط 18 1962م.

— النظرية اللسانية والبلاغية والادبية عند الجاحظ من خلال البيان
والتبيين

محمد الصغير بناني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1 1983م.

— نحو الجمل

تحقيق ودراسة، مختار بوعناني، مط، الفجر للكتابة والنشر، وهران، ط
1 1995م.

— الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها

احمد بن فارس تحقيق، مصطفى الشوملي مط، بدران للطباعة والنشر،
بيروت لبنان، ط 1 1963م.

— علم الدلالة

احمد مختار عمر، مط، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان. ط 1
1982م.

— علم الدلالة، اصوله ومباحثه في التراث العربي

عبد الجليل منقور، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط 1
2001م.

— علم النحو

فخر الدين الجابردى، محقق، قاسم الموشي، مط، دار صادر بيروت، مط،
الرشاد استنبول، ط 1 2007م.

— العمدة في محاسن الشعر وادابه

ابن رشيق القيرواني مط، دارالفكر بيروت لبنان، ط 1 1973م.

علم الدلالة العربية بين النظرية والتطبيق

دراسة تاريخية تاصيلية فائز الداية ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر 1973م.

— علم المعاني

الامان المنصورة 1999م

— عنقود الزواهر في الصرف

علاء الدين علي بن محمد القوشجي، دراسة ومحقق احمد عفيف،
ط،1، القاهرة.

— فقه اللغة واااا العربية

عبد الملك ابومنصور الثعالبي، مط،المكتبة التجارية الكبرى ط 1
1938م.

— فقه اللغة وخصائص العربية.

محمد مبارك، مط،دار الفكر، ط 7 1981م.

— فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور.

رجاء العيد، مكتبة المعارف، ط 2 1988م.

— في النحو العربي نقد وتوجيه

مهدي المخزومي. منشورات المكتبة العربية صيدا بيروت، ط 1 1964م.

— الفعل زمانه وابنيته

إبراهيم السامرائي. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 2 1980م.

— الفكاهة في الادب العربي

فتحي محمد عوض ابو عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط، 1

1970م

— الفكاهة في الادب اصولها وانواعها

احمد محمد الحوفي مط، كهضة مصر للنشر والتوزيع، ط 1 2001م.

— الفروق في اللغة

ابو هلال العسكري، مط، دار الافاق الجديدة بيروت لبنان، ط 4

1980م.

— الضروري في صناعة النحو

القاضي ابو الوليد بن رشد، تحقيق ودراسة، منصور علي عبد

السميع، تقديم محمد إبراهيم عباد، مط، دار الفكر العربي، ط، 1.

— القاموس المحيط

الفيروزابادي، دار الفكر بيروت لبنان. د.ت.

— رسالة الاشتقاق

ابن السراج، تحقيق مصدفي الحدري ومحمد علي الدرويش دمشق،

ط 1 1973م.

— اسم الفاعل والصفة المشبهة عند الصرفيين

محمود محمد علي ابو الروس، مط، حسان 1984م.

— سنن الترمذ لمدي

عزة عبید دعاس، مطابع الفجر حمص ط، 1387

— تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

محمد بن مالك محقق محمد كامل بركات مط، دار الثقافة، ج، ع، م.

ط 1 1967م.

— تسهيل شرح ابن عقيل، لالفية ابن مالك في الصرف

حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،

ط 1 2004م.

— تصريف الاسماء والافعال في ضوء اساليب القران

محمد سالم محيسن. مط، دار الكتاب العربي بيروت. ط 1 1987م.

— تطور الغزل في الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي

ربيعه

شكري فيصل. مط، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4 1959م.

— التبيين، عن مدارج النحويين، البصريين والكوفيين

ابو البقاء العكبري. محقق ودراسة، عبد الرحمان بن سليمان العثيمين.

مط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1 1986م.

— التحفة السنية بشرح الاجرومية

محمد محيي الدين عبد الحميد مط، دار الإمام مالك، طبعة منسوخة 2002م

التقديم والتأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الاسلوبية.

مختار عطية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، د، ت.

— الخصائص

ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجار مط، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط 2 1952م.

الخصائص

ابو الفتح عثمان بن جني مط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، 4 1999م.

— شدا العرف في فن الصرف

احمد الحملاوي، مط، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط 1 1953م.

— شرح الحدود النحوية

جمال الدين الفاكهي، تحقيق، وتقديم محمد الطيب إبراهيم مط، دار النفائس، بيروت لبنان، ط 1 1996م.

— شرح الكافية

الرضي، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد الزفزاف، مط، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط 1 1975م.

— شرح المفصل

موفق الدين ابن يعيش إعداد: احمد السيد احمد وإسماعيل عبد الجواد المغربي مط، المكتبة التوفيقية مصر، ط، 1، د، ت.

— شرح شافية ابن الحاجب

رضي الدين الإسترابادي، تح محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، مط، دار الفكر، بيروت لبنان، ط 1 1975م.

— شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان

جلال الدين السيوطي. الحلبي، ط 1 1939م.

— شروح التلخيص

للتفتازاني مط، دار لكتب العلمية بيروت لبنان، د.ت.

شرح المنهاج السبع

ابو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني، منشورات، دار القاموس الحديث،
بيروت لبنان، د.ت.

— وفيات الاعيان

ابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، بمصر،
ط 1 1948م.

المخطوطات

— ابوحيان التوحيدي ناقدًا

رسالة ماجستير كلالي مسود جامعة وهران السانية 1986م.

— الحروف العربية وتبدلها الصوتية في كتاب سيبويه

مكي درار رسالة ماجستير جامعة وهران 1988م.

هندسة المستويات اللسانية من الاتار العربية

مكي درار، جامعة وهران.

الدوريات

مجلة القلم، العدد 2 جامعة وهران السانية 2005م.

حوليات الجامعة جامعة وهران السانية.

مجلة النقد والدراسات الادبية واللغوية جامعة سيدي بلعباس.

مجلة اللغة العربية المجلس الاعلى للغة العربية الجزائر.

فهرس الموضوعات

الصفحات	عناوين الموضوعات
١
2
2 وتعريفات
4 الدلالة في التراث العربي
6 الدلالة عند الجاح
9 الدلالة عند ابن جني
10 الدلالة التفريعية للفعل
12 ابو حيان التوحيدى
13 شخصية ابي حيان
13 شيوخ ابي حيان
14 اثار ابي حيان
15 موضوعات كتبه
16 وفاة ابي حيان
17 تعريف الإمتاع
19 تعريف الانس
20 بين المتعة والانس
21 ظروف تاليف الكتاب
22 جلسات ابي حيان وجلسات
24 وصف الكتاب

الفصل الاول

دلالة الانس في المفردات

27الصيغة الإفرادية مفهوم وتنويع
29الإفراد
31تنويع الإفراد
32الجمع والتركيب
33الصيغة الحديثة
35الزمن الحداثي
37ليالي العرب
41معطيات المتعة والانس
43ذكريات الانس
45جدول الافعال المؤنسة
45مع مكونات الجدول
47احاديث المستقبل
48جدول الافعال المستقبلية المؤنسة
48مع مكونات الجدول
49عنة الاساليب
51دلالة الإمتاع في الافعال الامرية
51مع مكونات الجدول
52دلالة الذوات في ليالي التوحيد
52الصيغة الذاتية
54التانيث والتذكير

57 منتقيات التعبير
58 تعانق الالفاظ والمعاني
58 التكافؤ والتكامل
61 الجنس
62 الجمع
63 تداخل وتفاعل

الفصل الثاني

دلالة الانس في التراكيب

65 مع المفاهيم
66 مفهوم الجملة
67 مكونات الجم
70 اقسام الجملة العربية
71 مراتب المكونات
73 توقعات المواقع
75 موقعيات المسند
76 تنويعات في المكونات
79 في الاختلاف والاتفاق
80 التضاد
81 الضديات الإنسانية
82 الاضداد التجريدية
83 الحديث
84 لمفيات الانس والإمتاع

86 رونق الكلام.

88

90 استثناس الحيوان.

الفصل الثالث

دلالة الانس في المشتقات

95

95 مع المفاهيم.

96 الاشتقاق اصطلاحا.

96 اصالة وتاصيل.

97 علم الاشتقاق.

98 تقسيم وتفرع.

101 المشتقات.

102 الأفراد.

103 المصدر.

106 المتعة الروحية.

107 الاسم الصفة.

108 متعة الامثال.

108 حمولات الاسماء.

109 بعض اعلام الفكاهة.

110 ابو نواس.

112 ابو العيناء.

114 ابن الرومي.

115حديث عن السلامي
116اسماء الافعال
117اسم الفاعل
118اسم المفعول
120اسم التفضيل
121الظروف
122اسماء الالة

الفصل الرابع

دلالة الانس في السياق

124استهلال
127دلالة الفكاهة العربية
131الفكاهة عند السلف
132الامراء يتفاكهون
133التهكم بالبخل
134السخرية من السلوك
137نوادير اهل الشراة
138الحب في المعدة
139الحاكم والمطبخ
141حدود ال
142ملح الانس والتانس
144الظبي الاع
145نوادير المجانين

146البطون الانانية
148الخاتمة
149نتائج البحث
153مكتبة البحث
167فهرس الموضوعات